قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (الأَصْلُ الثَّاني، مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ، وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا اله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ).

بعد أن ختم الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الكلام عن الأصل الأول من الأصول الثلاثة ألا وهو معرفة العبد ربه، انتقل إلى الأصل الثاني، ألا وهو معرفة العبد دينه وهو الإسلام، ودين الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله عز وجل من أحد ديناً سواه، بعد بعثة محمد ﷺ، وإلى قيام الساعة؛ فكل من بلغته دعوة النبي ﷺ فإنه ملزم بطاعته والاستجابة لدعوته، ومن أبى واستكبر؛ فإنه من الكافرين الخاسرين عند الله جل وعلا، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾، وهذا من الأمر المعلوم من الدين بالضرورة؛ فكل أصحاب الأديان الذين لم يلتزموا بدين الإسلام الذي جاء به النبي محمد ﷺ فلا شك في كفرهم، وأنهم إن لقوا الله عز وجل على غير الملة الإسلامية؛ فإنهم خالدون مخلدون في النار، قال ﷺ كما في صحيح مسلم «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ** يعني من أمة الدعوة **يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ لا يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»، وهذه قضية قطعية يجب أن يعتقدها المسلم، بيّن الشيخ رَحِمَهُ اللهُ في مطلع بيان الأصل الأول؛ ما هو دين الإسلام؟! فعرفه بتعريف دقيق مشتمل على ثلاث جمل؛ الجملة الأولى هي أن الإسلام **(هو الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ)**، هذا هو الأمر الأول، ومعنى ذلك هو: الذل والإذعان والتأله لله وحده، دون غيره.

والناس في هذا المقام على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: من أسلم لله وحده؛ فهؤلاء هم المفلحون، ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾.

....

الضرب الثاني: من أسلم لله ولغيره؛ فهؤلاء هم المشركون، وحال المسلم الموحد والمشرك؛ ضرب الله ﷻ لهما مثلًا: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا﴾؛ هذا مثال بيّن واضح، بين من فيه شركاء متشاكسون يعني: مختلفون ومتشاجرون؛ عبدٌ لعدة سادة، وهم مع ذلك مختلفون، وهناك عبد آخر هو: سلم لرجل يعني خالص لرجل؛ فلا ينقاد إلا له، ولا يستجيب إلا إليه، ولا يأتمر إلا بأمره، فهذا مثل الموحد ومثل المشرك.

الضرب الثالث: من استكبر عن الاستسلام لله ﷻ ؛ وهؤلاء بين ممتنع وبين منازع لله ﷻ؛ أما الممتنع؛ فهو الذي لم يتأله لله قط، وهؤلاء كالملاحدة وأضرابهم، وأما المنازع لربه جل وعلا فإنه لم يسلم لله ﷻ بمعنى: أنه نازع الله تبارك وتعالى في أمره، وفي قدره، وكذلك نازع الله ﷻ في ما أمر الله جل وعلا به؛ فهو ينازع في أمر الله بزعم أن الأمر منافٍ للحكمة، وينازع في قدر الله ﷻ بدعوى أن قدر الله ﷻ منافٍ للعدل؛ فلا شك أن هذا من الذين استكبروا عن الاستسلام لله تبارك وتعالى؛ فمن نازع الله ﷻ وزعم أن أمره يخالف للحكمة أو أن قدره مخالف للعدل، وأبى أن يكون منقادا لله تبارك وتعالى فلا شك أنه كافر بالله ﷻ إذن أصحاب النجاة من هذه الأصناف الثلاثة هم الصنف الأول لا غير.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **(الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ)** بمعنى أنه يمتثل ما أمر الله تبارك وتعالى به، استجيبوا لأمر الله ﷻ يفعل ما أمر وينتهي عما نُهي عنه، وهذا يستلزم أمرين:

الأول: أن يلتزم جميع أحكام الله ﷻ، ومعنى يلتزم أي أنه يعتقد أنه مخاطب وأنه ملزم، وأنه يجب عليه وجوبا أن يستجيب لأحكام الله تبارك وتعالى وإن قصر في العمل لكنه يعتقد هذا

....

الاعتقاد، وهو شيء لا مندوحة عنه للمسلم، يجب أن يعتقد أنه ملزم ومأمور، ولابد عليه من أن يفعل ما أمر الله تبارك وتعالى.

الأمر الثاني: لابد أن تنبعث جوارحه وقلبه إلى طاعة الله ﷻ في الجملة؛ يعني لا بد أن يحصل منه طاعة بقلبه وبجوارحه أيضا، فإن ذلك ثمرة الاستجابة لله وللرسول ﷺ؛ قال جل وعلا: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾، فمن لم يطع الله ولا رسوله ﷺ فإنه ما دان بدين الإسلام الذي ما استجاب لله ألبته، ولا فعل ما أمر الله ﷻ مما أوجبه نبيه ﷺ في ما بلغه عن الله في الكتاب والسنة لم يفعل ما أمر الله ﷻ ألبتة، فإن هذا لاشك أنه لم يحصل منه الانقياد لله بالطاعة، وهذا أمر لابد منه وبالتالي فيكون ممتنعاً متوليا، ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ﴾ هؤلاء أتوا بالشهادة وقالوا: ﴿ءَامَنَّا﴾؛ لكنهم تولوا عن طاعة الله تبارك وتعالى وبالتالي فإنه لا حظ لهم في الإسلام؛ لأنه لم يحصل منهم الانقياد لله جل وعلا بالطاعة، أما الذي يفعل بعض الأوامر ويترك بعضاً؛ فهذا مقصر ولكن حصل منه الانقياد في الجملة؛ لذا فهو حكم أهل العلم مسلم.

الأمر الثالث: قال: (وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ) هذا هو اللفظ الصحيح في النسخ المعتمدة، وأما النسخة التي فيها: (والخلوص من الشرك)؛ فإنها مخالفة للنسخة الصحيحة، والصواب: (وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ)؛ فمجرد الخلوص لا يكفي، الخلوص يعني الترك، وترك الشرك فحسب لا يكفي بل لا بد من براءة، ومعنى هذا أعني (وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ)؛ أن يعتقد بطلان عبادة غير الله، ويبغضها ويكفِر أهلها، ويعاديهم في الله ﷻ لا بد أن يعتقد إن كان مسلما لابد أن يعتقد بطلان عبادة غير الله جل وعلا؛ فإن قال: أنا أشك؛ هل عبادة الشمس أو القمر أو عيسى عليه السلام ربما

....

تكون صواباً وربما تكون خاطئة؛ نقول هذا ما دخل في دين الإسلام؛ بل لابد أن يعتقد أن كل عبادة لغير الله ﷻ فهي باطلة، لابد أن يبغضها؛ فلو أحبها فإنه ليس بمسلم، لو قال: أنا أحب هذا الفعل، وهو السجود للصنم أو السجود للصليب؛ فإننا نقول: هذا ليس بمسلم، ولابد أيضًا من أن يعتقد كفرهم لابد أن يعتقد كفر هؤلاء الكفار الذين عبدوا غير الله تبارك وتعالى؛ لأن هذا حكم الله ﷻ، وعليه أن يصدق بحكم الله، ولابد أن يبغضهم ويعاديهم في الله ﷻ؛ هذه عقيدة قلبية لابد منها؛ قال جل وعلا: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾؛ فهذا من لوازم الشهادة لله ﷻ بالتوحيد، وهو أن يبرأ إلى الله تبارك وتعالى من كل دين سوى دين الإسلام، ويبغض ويتبرأ من أهله، وإلا فإن لم يكفر من كفره الله ورسوله، أو لم يبغض عبادة غير الله ﷻ فإنه لا حظ له في الإسلام؛ هذه كلها قضايا عقدية.

أما المعاملة فشأن آخر، وقد سبق الحديث عن هذا في درس ماضٍ وقلنا: إن المعاملة حكمها حكم آخر؛ فإن معاملة غير المسلم تختلف بحسب الحال؛ فالمحارب له تعامل، وأما من لم يكن محاربا؛ بل كان مسالما لأهل الإسلام فإن له حكما آخر؛ فإن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ هذا هو التعريف الذي ذكره الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لدين الإسلام، وهو تعريف متين جمع الأمور المهمة التي بها يكون الإنسان مسلما، ثم إن الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عطف على هذا بيان مراتب الدين ولاحظ أن هذه المراتب هي **(الإسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ)**، وقد سبق ذكر الإسلام بمعنى أن الإسلام يطلق باعتبارين يطلق باصطلاح عام وهو بمعنى الدين، الدين كله، ويطلق باصطلاح خاص فيكون قسيمًا للإيمان والإحسان؛ يعني يطلق ويراد

....

به الدين كله ويطلق ويراد به مرتبة من مراتب الدين الثلاث ألا وهي (**الإسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ**)

بدأ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بذكر المرتبة الأولى ألا وهي: مرتبة الإسلام وهذا الإسلام الذي هو المرتبة الأولى والدرجة الأولى في الدين، وهي التي يدخلها الإنسان أول ما يدخل في دين الإسلام؛ فإن هذا الإسلام مبني على أركان خمسة، جاء بيانها في حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا؛ كما في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ بَيتِ اللهِ الحَرَام مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيْلًا**»، هذه هي أركان الإسلام، هذه هي دعائم الإسلام، وقد عند محمد بن نصر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيما خرجه «**بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسةِ دَعَائِمَ**» إذن هذه دعائم الإسلام التي بها قيام هذا الدين، وسيأتي البحث؛ في كل ركن من هذه الأركان.

بدأ الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان الركن الأول ألا وهو "شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ".

قال رَحِمَهُ اللهُ: (فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلا اللهُ، وَحَدُّه ؟لا اله؟ نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ؟إِلا اللهُ؟ مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾

بدأ رَحِمَهُ اللهُ بأول ما يبدأ به، ألا وهو شهادة التوحيد، هذه الشهادة العظيمة هي أحسن الكلام وأعظم المعاني وهي الدين كله أصله وفرعه، وهي التي لأجلها خلق الله العباد، وهي التي لأجلها خلق الله الجنة والنار، وهي التي لأجلها أنزلت الكتب وشرعت الشرائع، وهي التي لأجلها انقسم الناس إلى أهل سعادة وشقاوة، هذه الكلمة هي مفتاح الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعليها يكون السؤال في القبر ويوم القيامة، هذه الكلمة عليها مدار النجاة والخسارة، يكفي أنها شهادة عظيمة شهد الله جَلَّ جَلَالُهُ بها لنفسه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾.

تأمل يا رعاك الله هذه أعظم شهادة من أعظم شاهد على أعظم مشهود عليه ألا وهي لا إله إلا الله.

شهادة أن لا إله إلا الله؛ ما معنى كلمة شهادة؟! لاحظ أن المسلم إذا دخل دين الإسلام فإنه يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، إذا صلى فتشهد، إذا أذن للصلاة وغير ذلك من الأعمال التعبدية؛ فإنه يبدأ ويصدّر هذه الكلمة الطيبة بقوله أشهد؛ فما معنى قولنا أشهد؟! أشهد يعني أنطق بما أعلم وأتيقن، إذن انتبه!

....

الشهادة تعني ثلاثة أشياء:

أولًا: النطق؛ فمن كان يعتقد في قلبه فقط أنه لا إله إلا الله لكنه ما نطق؛ هذا ما أتى بـــ لا إله إلا الله، ولا تكون شهادة إلا بالنطق، وهذا من الأمور المجمع عليها بين المسلمين: "أن من اعتقد أن لا إله إلا الله لكن ما نطق مع عدم العذر؛ بمعنى لا يكون أبكم لا يتكلم، وإنما هو قادر على النطق، ومع ذلك امتنع عن النطق بـــ لا إله إلا الله؛ فإنه لا يكون مسلماً باتفاق المسلمين".

الأمر الثاني: لا بد أيضًا من أن يكون عالمًا بما يشهد به لا يمكن أن يكون الجاهل شاهداً بل لا بد أن يكون عالمًا بالشيء الذي نطق به.

الأمر الثالث: لابد أن يكون متيقنًا به؛ فإن كان شاكًا؛ يقول: أنا أقول لا إله إلا الله؛ لكن في نفسي شك، ربما يكون هناك إله مع الله؛ فنقول هذا ما أتى بـــ لا إله إلا الله إذن؛ أشهد يعني أنطق بما أعلم وأتيقن.

هذا معنى شهادة أن لا إله إلا الله؛ إذن؛ لابد من أن يجتمع فيها الأمور الثلاثة، هذه الكلمة العظيمة ينبغي على كل مسلم وجوباً عينياً أن يعتني بفهمها وفقهها ومعرفة كل جوانبها أن يعرف معناها، وأن يعرف أركانها وأن يعرف شروطها، وأن يعرف نواقضها؛ لأنها أهم قضية في حياته؛ فأي شيء يعلم من كان يجهل هذه الكلمة العظيمة، إذن حري بكل مسلم أن يكون مهتماً غاية الاهتمام بفهم هذه الكلمة وفقهها غاية الفقه. الفهم الصحيح لهذه الكلمة العظيمة ينبني على حسن الفهم لأمرين؛ انتبه!

أولًا: معنى كلمة إله، **وثانيا:** جواب لا المقدر، انتبه يا طالب العلم!

....

أولًا: أن تعلم معنى كلمة إله، فإن الخطأ في هذا الأمر ليس خطئاً يسيرا؛ بل هذا الخطأ كان سببا في انحراف كثير من الناس عن التوحيد، عدم فهم كلمة إله ومعناها في ضوء لغة العرب التي جاء بها كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ أوقع في خطأ كبير.

إله: فِعال؛ بمعنى: مفعول، إله بمعنى مألوه؛ يعني معبود، وهذا الذي كما تعلمنا سابقا لا تعرف العرب في لغتها غيره، إله بمعنى معبود.

وقد أخطأ من جعل هذا الكلمة دالة على معنى آخر؛ بعض الناس يقول: إله بمعنى قادر على الاختراع؛ فبالتالي يكون معنى لا إله إلا الله: لا قادر على الاختراع إلا الله، ولا شك أن هذا المعنى باطل، ومن اعتقد هذا المعنى، ولم يتجاوزه إلى تحقيق العبودية لله ﷻ وحده؛ فإنه ما فهم الإسلام ولا يكون قد أتى بـــلا إله إلا الله فإن هذا المعنى كان يعتقده أبو جهل وأبو لهب، كانوا يعتقدون أن الله هو القادر على الاختراع، يعني هو الذي أوجد من العدم؛ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾؛ إذن ليس هذا هو معنى إله.

بعض الناس يقول: إله بمعنى المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه، وبالتالي فيكون لا إله إلا الله تعني: لا مستغني عما سواه ولا مفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله، وهذا أيضًا قريب من السابق وليس هو معنى إله وليس هذا الذي ذكروه هو معنى لا إله إلا الله، ولو أن النبي ﷺ قال للمشركين: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» ومعناها: لا مستغني عما سواه إلى آخره لقالوا: حباً وكرامة لكنهم كانوا عرباً يفهمون لغة العرب لما قال لهم النبي ﷺ: «**قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا**»؛ قالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ إذن ليس هذا هو معنى لا إله إلا الله. إله بمعنى معبود، إذن لا إله يعني لا معبود.

....

الأمر الثاني: هو خبر لا المقدر في اللغة العربية لا التي هي بداية كلمة التوحيد؛

كلمة التوحيد: مكونة من أربع أجزاء أليس كذلك؟!، لا، إله، إلا، الله، أليس كذلك؟! لا التي في البداية تسمى لا النافية للجنس العاملة عمل إن؛ هذه الـــ لا يكثر وبعض العرب يلتزم حذف الخبر إذا كان معلوماً، وهذا له نظائر في الكتاب والسنة؛ ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ﴾ تقولوا (لابأس) يعني عليك؛ إذن يكثر حذف الخبر، والخبر ههنا محذوف فما تقديره؟!؛

قال بعض الناس: تقدير الخبر هنا لا معبود موجود إلا الله ولا شك أن هذا غلط، لماذا؟، لأن هذا يلزم منه أحد أمرين الأول: أن يكون كل شيء عُبد فهو الله، ومعلوم أن الشمس عبدت والقمر عبد والحيوانات عبدت، والأصنام عبدت، والأشجار عبدت؛ فلو قلنا: أن كل معبود موجود هو الله؛ لكان هذا ذريعة إلى القول بوحدة الوجود أو القول بالاتحاد أو القول بالحلول، ولا شك أن هذا من الكفر بالله تبارك وتعالى.

بعض الناس قال: أن اللازم الثاني هو أن ينكر عبادة غير الله ﷻ؛ كأن قائل هذا القول يدعي أنه لم يعبد شيء إلا الله، لا معبود موجود إلا الله، والواقع أن هناك معبودات غير الله وجدت بدليل أن المشركين قد قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ إذن الآلهة موجودة فكيف نقول: أنه لا توجد آلهة!

بعض الناس قالوا: إن تقدير الخبر هو لنا، لا معبود لنا إلا الله، وهذا أيضًا تقدير غير صواب؛ فإنه قد يفهم منه أنه لا معبود لنا إلا الله، ويجوز أن يكون لغيرنا معبود سواه، والواجب أن يكون الله ﷻ هو معبود جميع الإنس والجن، جميع الكائنات يجب أن تسلم لله وحده، لا شريك له؛ إذن هذا وذاك تقديران خاطئان، والصواب الذي لا شك فيه هو أن الخبر بحق؛ وإن شئت فقل: حق؛ يعني: لا معبود بحق إلا الله، أو لا معبود حق إلا الله، المعبود الحق هو الله وحده، وما سواه فإنه

معبود باطل، وهذا المعنى قد دل عليه أدلة كثيرة في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ بل هذا المعنى من أكثر ما يكون وضوحا في النصوص: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ ﴿وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾، الأولى آية الحج، والثانية آية لقمان.

إذن؛ لا إله إلا الله معناها الصواب: (**لا معبود بحق إلا الله**) أي البراءة من عبادة كل ما سوى الله ﷻ وإفراد الله تعالى بالعبادة، يوضحها تمام الإيضاح هذه الآية العظيمة التي أوردها المؤلف رحمه الله ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ فنفهم من هذا أن لا إله إلا الله مشتملة على قضيتين وإن شئت فقل مشتملة على ركنين؛ من لم يأت بهما اعتقادا وقولًا وعملًا؛ فإنه ما أتى بـــ لا إله إلا الله؛ لابد أن تنتبه لهذين الأمرين:

الأول: النفي، **والثاني** الإثبات، النفي: جاء في قولك لا إله، والإثبات: جاء في قولك إلا الله.

لابد من النفي والإثبات، لابد من التجريد والتفريد، لابد من التخلية والتحلية، لابد من اجتماع الأمرين؛ نفي فحسب؛ ليس بتوحيد، وإثبات فحسب؛ ليس بتوحيد، من قال: لا إله، ما أتى بالتوحيد؛ لأن هذا نفي والنفي عدم وليس بشيء، من قال الله إله هل دخل في الإسلام؟!، لم يدخل في الإسلام، لأن الإثبات وحده لا يمنع المشاركة، متى يكون التوحيد توحيداً؟! إذا حصل فيه ماذا؟ اجتماع الأمرين النفي والإثبات، تبرأ من عبادة كل ما سوى الله ﷻ وتكفر بكل معبود سوى الله ﷻ وتثبت العبادة لله سبحانه لا شريك له ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ تأمل معي في هذه النصوص:

....

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ اشتملت هذه الآية على الجانبين؛ أين النفي؟! ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ وأين الإثبات؟!﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.

قال جل وعلا: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ أين النفي؟!﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾، وأين الإثبات؟! ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾

قال جل وعلا: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أين النفي؟! ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ﴾ وأين الإثبات؟!﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾

﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أين النفي؟! ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ﴾ وأين الإثبات؟! ﴿إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

وهكذا في أدلة كثيرة تجد أنها قد جاءت مفسرة لكلمة التوحيد غاية التفسير لابد إذن من أن تعتقد الأمرين نفي فحسب لا ينفع، وإثبات فحسب أيضًا لا ينفع؛ بل لا بد من ماذا؟ لابد من نفي وإثبات.

....

فقد كنا توقفنا في درس أمس عند الأدلة على معنى لا إله إلا الله، وقلنا: إن لا إله إلا الله، هذه الكلمة العظيمة مكونة من جزئين، يسميان عند أهل العلم بالركنين ألا وهما النفي والإثبات، واستعرضنا بعضاً من الأدلة التي دلت على هذا المعنى، قول الله جل وعلا: ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡ﴾ هل دلت على معنى لا إله إلا الله؟ أين النفي؟ ﴿فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وأين الإثبات؟ ﴿وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡ﴾

في قول الله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أين النفي والإثبات؟ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ نفي، والإثبات؟ ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾

في قول الله جل وعلا: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾، أين النفي والإثبات؟ ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ إثبات، ﴿مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ نفي.

أما من سنة النبي ﷺ، فعندنا الحديث العظيم الذي بين أركان الإسلام، الا وهو حديث ابن عمر رضي الله عنهما المخرج في الصحيحين: «**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله**» إلى آخره، هذه الرواية معروفة.

جاءت رواية في صحيح مسلم ألا وهي: «**بني الإسلام على خمس: على أن يوحد الله ويكفر بما دونه**» هذه الرواية أين؟ في صحيح مسلم، إذن هي رواية صحيحة.

هذه الرواية تفسر لنا معنى لا إله إلا الله، أين النفي والإثبات؟ «**على أن يوحد الله**»، والنفي؟ «**ويكفر بما دونه**»، أيضًا يدل على هذا قول النبي ﷺ، لما سأله عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: من أنت؟ قال: «**نبي**» قال: وما نبي قال: «**أرسلني الله**»، قال: بأي شيء أرسلك؟ قال: «**بأن يوحد الله ولا يشرك به**»، هذا أيضًا تفسير للا إله إلا الله، «**يوحد الله**»، الإثبات، يقابله في لا إله إلا الله ماذا؟ إلا الله، «**ولا يشرك به**» يقابل هذه الجملة في لا إله إلا الله؟ لا إله، إذن هذا معنى لا إله إلا الله، ولكن ينبغي عليك أن تعلم أن لا إله إلا الله كلمة لا تنفع صاحبها إذا نطق بها مجردة عن قيود ثقيلة جاءت في النصوص، وإلا فلو كانت لا إله إلا الله تنفع بمجرد النطق بها لنفعت المنافقين، ألم يكن المنافقون يقولون: لا إله إلا الله؟ كانوا يقولون لا إله إلا الله، فهل نفعتهم لا إله إلا الله، لم تنفعهم لا إله إلا

الله، بل هم في الدرك الأسفل من النار، **والسبب**: أنهم ما أتوا بقيودها وحقوقها.

إذن لا إله إلا الله لها قيود وحقوق، وهي التي اصطلح العلماء على تسميتها بالشروط، يقولون: شروط لا إله إلا الله. **وما وجه تسميتها بالشروط؟**

وجه تسميتها بالشروط هو: أنها شروط للانتفاع بها، ومعلوم أن الشرط عند الأصوليين يلزم من عدمه العدم، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته.

إذن الشرط متى ما فقد فإن هذا المشروط يصبح عدماً، كالصلاة، الصلاة أقوال وأفعال، أرأيتم لو أن إنسان صلى صلاة خاشعة، قنت فيها لله ﷻ، وأطال العبادة وبكى فيها، أطال الركوع والسجود، وسبح الله ﷻ طويلاً، ولكنه لم يكن متوضأ، هل تنفعه هذه الصلاة؟ لا تنفعه الرجل صلى، والرجل كان خاشعًا، والرجل أمضى وقتاً طويلاً في هذه الصلاة، وتقولون أنها لا تنفعه، ولا تبرأ ذمته بهذه الصلاة لماذا؟ لأنه فقد شرط قبولها، شرط قبولها هي الطهارة، وبالتالي الله ﷻ لا يقبل صلاة إلا بطهور، كذلك لا إله إلا الله مثل الصلاة لها شروط، من أتى بهذه الشروط انتفع بلا إله إلا الله، وإذا لم يأت بهذه الشروط أو ببعضها أو بواحد منها ما انتفع بلا إله إلا الله.

اجتمع في جنازة زوجة الفرزدق، -الفرزدق شاعر أموي المشهور- اجتمع في هذه الجنازة الحسن البصري والفرزدق، حتى قال الفرزدق، يقول الناس: اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس، فقال الحسن البصري رحمه الله الذي هو سيد من سادات التابعين، قال: لستُ بخير الناس ولستَ بشرهم، ثم قال له: ماذا أعدت لهذا اليوم؟ فقال الفرزدق: لا إله إلا الله منذ سبعين سنة.

منذ سبعين سنة وأنا أعد لهذا اليوم يوم وفاتي لا إله إلا الله، فقال الحسن رحمه الله: نِعم العدة، ولكن للا إله إلا الله شروط، فإياك وقذف المحصنة، وفي رواية قال: هذا العمود، فأين الطنب؟ الطنب: الحبل الذي تشد به الخيمة، أنت أتيت بعمود الخيمة، لكن يبقى ماذا؟ الحبال التي تشد بها الخيمة، وقال للحسن رحمه الله بعضهم يقولون: إن من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال رحمه الله: من قال لا إله إلا الله، وأدى حقها وفرضها دخل الجنة.

وقيل لوهب بن منبه رحمه الله: إن أناساً يقولون: إن لا إله إلا الله مفتاح الجنة، فقال رحمه الله: نعم هي مفتاح الجنة، ولكن كل مفتاح له أسنان، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك.

إذن لابد حتى تنتفع يرعاك الله بلا إله إلا الله عند الله، أن تأتي بشروط لا إله إلا الله.

....

وقد توارد أهل العلم على أن لا إله إلا الله سبعة شروط، انتبه لها، فإن الناس يتفاوتون تفاوت عظيماً في لا إله إلا الله، بحسب قيامهم بهذه الشروط.

انتبه: بعض الناس يقولوا: لا إله إلا الله، ولا إله إلا الله في قلبه ضعيفة مريضة، وبعضهم يقول: لا إله إلا الله، ولا إله إلا الله في قلبه قوية نشيطة، فإن لا إله إلا الله بالنسبة للإيمان، كالروح بالنسبة للجسد، إذا كانت الروح قوية ونشيطة وصحيحة، كان الجسد قوياً ونشيطاً وصحيحا، وإذا كانت الروح ضعيفة، فإن الجسد يكون ضعيفا، أما إذا ماتت الروح فإن الجسد يموت، إذا خرجت الروح من الجسد مات الجسد، كذلك لا إله إلا الله، بعض الناس ربما يقول: لا إله إلا الله، لكن لا إله إلا الله فيهم ميتة، لذا فإنهم لا ينتفعون بها، ولو رددوها عدد الأنفاس، ولو رفعوا بها صوتهم حتى أسمعوا جميع الناس، لا ينتفعون بها إلا باجتماع هذه الشروط السبعة.

وبشروط سبعة قد قيدت   وفي نصوص الوحي حقًّا وردت
فإنه لم ينتفع قائلها   بالنطق إلا حيث يستكملها

ماهي؟

والعلم واليقين والقبول   والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة   وفقك الله لما أحبه

دعونا نأخذ هذه الشروط واحدة واحدة، نتفقه في هذه الشروط، هذا الموضوع من أهم الموضوعات التي ينبغي على المسلم أن يعتني بها، جُمعت أيضًا هذه الشروط في بيت من النظم:

علم يقين وإخلاص وصدقك   مع محبة وانقياد والقبول لها

الشرط الأول: العلم بمعنى لا إله إلا الله، فلو نطق الإنسان بهذه الكلمة وهو لا يدري عن معناها ولا يفهم منها شيئًا، فإنه لا ينتفع بلا إله إلا الله، وهذا شرط بدهي، كيف يقوم بحق لا إله إلا الله ويعمل بمقتضاها ويجتنب نواقضها، وهو لا يدري ما معنى لا إله إلا الله.

إذن هذا شرط بدهي لابد منه، أن يعلم معنى لا إله إلا الله ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾، يعني: واعلموا أن لا إله إلا الله.

....

قال جل وعلا: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ قال جل وعلا: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ **والحق ها هنا**: كما قال جماعة كبيرة من أهل التفسير: الحق ها هنا هو لا إله إلا الله.

فلا ينتفع بهذه الشهادة إلا من كان يعلم معناها، لو تصورنا إنسان أعجميا لا يفهم لغة العرب، وقلنا له: ردد معنا هذه الكلمة، لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، وهو لا يفهم شيئا من هذه الكلمة، هل دخل في الإسلام؟ ما دخل في الإسلام لماذا؟

لأنه لم يعلم بمعناها، إذن لابد أن يعلم بمعناها، مجرد النطق بها بلا فهم لمعناها، فإنه لا يعتبر شيئا، ولا ينتفع به هذا الناطق به.

الشرط الثاني: اليقين بمعناها، أن يكون الإنسان مستيقنا بأنه لا إله إلا الله، يقابل اليقين الشك والريب.

بمعنى: لو قال لا إله إلا الله وهو يعلم معناها، ولكن عنده شك وريب، الله إله ويمكن أن يكون عيسى عليه السلام إله، أنا لا أدري أشك ربما مع الله إله آخر، أنا لا أجزم ولكن أشك ربما يكون عيسى إله، ما رأيكم بهذا القائل؟ انتفع بلا إله إلا الله؟ ما انتفع بلا إله إلا الله.

لابد أن يكون عنده يقين راسخ بالمعنى الذي دلت عليه لا إله إلا الله، وهو النفي والإثبات، نفي الإلهية عما سوى الله، وإثباتها لله تعالى وحده.

ويدل على هذا قول الله جل وعلا: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ﴾ حصل عندهم إيمان بيقين، حصل عندهم علم بلا ريب، فإن هذا هو الذي ينتفع بلا إله إلا الله.

وأخبر النبي ﷺ كما في صحيح مسلم، أن من قال: لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه دخل الجنة، إذن اشترط النبي ﷺ لدخول الجنة لمن قال لا إله إلا الله، أن يكون قلبه مستيقنا بها.

الشرط الثالث: الإخلاص، وما معنى الإخلاص هنا؟ هل المقصود أن يعبد الله ولا يشرك به؟ لا هذا هو معنى لا إله إلا الله، ونحن نتحدث عن شروط لا إله إلا الله، إذن نحن نبحث في إخلاص خاص، وهو: أن يكون مخلصًا في نطقها، يقول: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله، لا يريد شيئًا آخر.

....

أرأيتم لو أن إنسانًا قال لا إله إلا الله، وقصده أن يداهن المسلمين، لأجل أنه يريد مثلًا أن يتاجر مع المسلمين، فلا يطمئنون إليه إلا إذا كان مسلمًا، قال: إذن أنا أقول: لا إله إلا الله، والقصد ليس هو أنه يدخل في الإسلام، وإنما القصد أنه يحصل على تجارة، أو يحصل على دنيا، أو يحصل على زواج وما شاكل ذلك.

فما رأيكم دخل في الإسلام؟ لم يدخل في الإسلام، لابد أن يكون حال نطقه بلا إله إلا الله يريد ماذا؟ يريد وجه الله تبارك وتعالى، والدليل على هذا ما ثبت في صحيح مسلم، أن النبي ﷺ قال: «**فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**».

إذن لابد أن يكون الإنسان مخلصًا في قولها، أما إذا كان يريد شيئًا من الدنيا أو رياء أو لأي غرض من الأغراض فإنه لا تنفعه لا إله إلا الله.

الأمر الرابع: الصدق والمقصود بالصدق: أن يأتي بهذه الكلمة وقد واطأ لسانه قلبه، لابد أن ينطق وهو صادق، إذا قال: لا إله إلا الله تكون لا إله إلا الله بلسانه موافقة لما في قلبه، بعكس حال أهل النفاق، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

أما أهل الإيمان فإنهم إذا نطقوا بلا إله إلا الله فإنهم يكونون صادقين، لسانهم يوافق قلبهم.

إذن الصدق منافي للكذب، واليقين منافي للشك، والإخلاص منافي للشرك، حتى تفهم هذه الشروط افهم أضدادها، الإخلاص ينافي الشرك.

إذن الذي لم يخلص هذا ماذا؟ مشرك، اليقين ينافيه الشك، لابد أن يكون مخلصا، والشك من حال أهل النفاق، كما قال جل وعلا عنهم: ﴿وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾

ولا تنفع المرء الشهادة فاعلمن إذا لم يكن مستيقنًا ذا تجرد

الأمر الثالث: الذي قلناه: هو الصدق، الصدق ينافيه الكذب، وهذا أيضًا من حال أهل النفاق، فالمنافقون بين كاذب ومرتاب شاك، لا يجزم بعدم هذا المعنى في قلبه وإنما ماذا يشك ويرتاب.

والصنف الآخر منهم يكذب هو كاذب في قوله لا إله إلا الله محمد رسول الله، قال جل وعلا: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾

....

إذن الكذب من حال أهل النفاق، كما أن الشك من حال أهل النفاق، وقد يكون الواحد منهم جامعاً بين الكذب والريب، تارة يكون مكذباً وتارة يكون مرتاباً.

الأمر الخامس: المحبة، والمقصود بالمحبة أن يحب المعنى الذي دلت عليه لا إله إلا الله يحب هذه الكلمة ومعناها، يحب أن يكون الله هو الإله فقط، ولا يحب أن يكون غيره إله، وهذه القضية هي لب العبودية وروحها، وعليها تأسيس الملة كلها، فإن حقيقة الألوهية ترجع إلى المحبة، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب، يعني تحبه وتذل له.

إذن لابد أن يحب ما دلت عليه لا إله إلا الله من النفي والإثبات، فلو كان مثلًا: لا يحب أن يكون الله هو يقولها ويستيقن بمعناها، لكن في قلبه شيء من البغض لهذا المعنى، كأن يحب أن يكون ذاك الولي أو ذاك النبي إله مع الله ﷿، هو لا يعتقد ألوهيته، لكن لا يحب أن يكون الله وحده هو الإله، فهل هذا نفعته لا إله إلا الله، لا تنفعه لا إله إلا الله.

ويكثر هذا يا إخواني في عباد القبور، فلسان حالهم أو لسان مقالهم: يزعم أن غير الله ﷿ كان أولى وأحسن أن يكون إلهاً مع الله تبارك وتعالى، تدل أفعالهم وأقوالهم على هذا المعنى عند بعضهم عافاني الله وإياكم من ذلك، وهذا ما انتفع بلا إله إلا الله.

ورأس ذلك هو محبة الله ﷻ ثم محبة النبي ﷺ، رأس هذا المعنى الذي ذكرناه في هذا الشرط وأساسه هو محبة الله ثم محبة النبي ﷺ، ولذا كانت محبتهما شرطاً في الإيمان قال النبي ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**».

إذن لابد من أن يكون الإنسان محبًا لله ﷿ أعظم محبة على الإطلاق، ثم أن يحب النبي ﷺ أعظم محبة على الإطلاق، إلا الله ﷿، فمحبة الله في قلبه أعظم، ومن فروع ذلك أن يحب أهل الإيمان وأن يبغض أهل الكفر.

ما الدين إلا الحب والبغض والولا   كذاك البرا من كل طاغ وكافر

الدين من لوازمه الحب في الله والبغض في الله، إذا كنت تحب الله، إذا أنت ملزم بأن تحب من يحبه الله، وإذا كنت تحب الله فأنت ملزم بأن تبغض من يبغضه الله، الله ﷿ يحب المؤمنين، إذن لابد أن تحب المؤمنين، والله ﷿ يبغض الكافرين إذن عليك أن تبغض الكافرين.

....

أيضًا من فروع هذا الشرط أن تحب ما جاء به النبي ﷺ، كل شيء جاء في دين الله ودلت عليه سنة النبي ﷺ فإنك يجب عليك وجوبا عينيا أن تحبه لأنه من دين الله، وعليه فإن من الخطر العظيم أن يبغض الإنسان شيئًا مما جاء به النبي ﷺ، ولو كان دقيقًا في نظره.

ما رأيكم في شخص يبغض السواك، يقول: هذا الشيء أنا أبغضه، وهو يعلم أنه قد جاء به النبي محمد ﷺ، وحث عليه وأمر به، وكان هو يستعمله، ما رأيكم يا جماعة حقق هذا الشرط؟ ما حقق هذا الشرط.

لذا فإن من نواقض الإسلام أن يبغض الإنسان شيئا مما جاء به النبي ﷺ، ولو عمل به، تخيلوا معي إذا تصورنا رجلين رجل يحب سنة اللحية، إعفاء اللحية، ولكنه يحلقها ويقول: والله إنها لكمال وإنها لخير وإني أحبها، وإني أتمنى أن أعفي لحيتي ويتذرع، يقول: الشيطان أو غير ذلك من الأسباب.

ورجل آخر يعفي لحيته لكن يقول: أنا أبغض هذا المنظر، يعفي لحيته ويبغض هذه السنة.

وآخر يحلق لحيته ولكن يحب هذه السنة، ما الفرق بينهما؟ الذي حلق لحيته ولكنه يحبها ويقدرها ويعظمها لأنها سنة النبي ﷺ مسلم عاصي، خالف سنة النبي ﷺ، بل خالف أمرًا واجبًا في قول النبي ﷺ: «**أعفوا اللحى**»، والأمر يقتضي الوجوب والحديث في الصحيحين.

أما الآخر ولو عمل بهذا العمل ولكن في قلبه بغض، وربما يترجمه بشيء من الاحتقار، فإنه والعياذ بالله لا حظ له في الإسلام، لو قال: أنا أبغض الحجاب لو قال: أنا أبغض الآذان، الآذان فيه إزعاج وأنا لا أحبه، لو أنه احتقر رفع الثوب عن الإسبال كما أمر النبي ﷺ بذلك، واحتقر هذه السنة وأبغضها، فإنه لا حظ له في الإسلام.

فباتفاق العلماء أن من أبغض شيئا مما جاء به النبي ﷺ ولو عمل به فقد كفر.

إذن المسألة في غاية الخطورة فتنتبه يا رعاك الله.

الشرط السادس: القبول، والمقصود بالقبول أنه إذا كان يعلم معنى لا إله إلا الله ويحب هذا المعنى، ويصدق به وقال: لا إله إلا الله مخلصًا.

فإن عليه أن يكون نطقه بلا إله إلا الله بمثابة العهد والميثاق على التزام أحكام الشرع التي جاء بها محمد ﷺ.

....

بعض الناس وهذا حصل في القديم وفي الحديث، يكون: مصدقًا ومستيقنًا أن النبي ﷺ صادق، وأنه رسول من عند الله، وأن الله وحده هو المعبود، ولكن لاستكبار أو لأنفه في نفسه، أو لسبب دنيوي أو لغير ذلك، يمتنع من اتباع النبي ﷺ ومن الدخول في الإسلام.

وربما يقول: لا إله إلا الله معجباً بها، فهل تنفعه لا إله إلا الله؟ لا تنفعه لا إله إلا الله، كثير من المستشرقين الذين درسوا الإسلام من اليهود والنصارى، يعلمون أن هذا الدين حق وأن الله هو المعبود، وأن النبي ﷺ رسول من عند الله، ولكن لسبب من الأسباب يمتنعون، وهذا أيضًا حاصل في القديم.

ألم يخبر الله ﷻ عن اليهود أنهم يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناؤهم، فهل نفعهم هذا التصديق؟ ما نفعهم.

أبو طالب عم النبي ﷺ هل كان يعلم أن ابن أخيه ﷺ صادق في أنه رسول من عند الله؟ نعم، أليس هو القائل:

ولقد علمت أن دين محمد   من خير أديان البرية دينًا

لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحا بذاك مبينًا

امتنع واستكبر عن اتباع النبي ﷺ خوف المذمة والعار، كيف يقول الناس: إنه غير دين عبد المطلب، فامتنع من اتباع النبي ﷺ فهل نفعه هذا التصديق، ما نفعه هذا التصديق.

إذن انتبه ليس الإيمان مجرد تصديق أو مجرد علم، أو مجرد معرفة إنه شيء وراء ذلك، إنه التزام ورضى وقبول، وعهد على التزام أحكام الشريعة، يرضى بها ولا ينازعها، ويعلم أنه لا يسعه الخروج عنها.

أرأيت لو أن إنساناً قال: إنني لست ملزمًا ولا مخاطبًا بشيء مما أنتم مخاطبون به أو بعضه.

بعض الناس يقول: أنا الآن عبدت الله عبادة عظيمة حتى وصلت إلى درجة اليقين فارتفعت عني التكاليف، فالصلاة أنتم تؤمرون بها أما أنا لا تلزمني الصلاة، ما حكمه؟ ما نفعته لا إله إلا الله هذا ليس له حظ في الإسلام، من اعتقد أن أحدا يسعه الخروج عن شريعة النبي ﷺ فقد كفر، لابد أن يعلم أنه ملزم ومخاطب ومأمور ومذعن ولا ينازع ولا سعة له، ولا مجال له أن يخرج عن شريعة النبي ﷺ وينتقض هذا الشرط في حق رجلين:

....

الأول هو الذي إذا جاءه الخبر كذبه، إذا جاءه خبر كذبه، من قال: إن كلمة، بل حرف من كتاب الله كذب، اتهم الله عياذن بالله بالكذب، أو كذب النبي ﷺ في حديث واحد.

لو قال: أنا أؤمن بكل أحاديث النبي ﷺ وهي ألوف مألفة، كلها أصدق النبي ﷺ فيها ولكن لا أصدقه في حديث واحد، فقط هذا الحديث لم يكن صادقا فيه، وحاشاه عليه الصلاة والسلام.

ما رأيكم؟ كافر انتقض عنده شرط القبول، لابد أن يقابل الأخبار بالتصديق هذا واحد، ولابد أن يقابل الأوامر بالقبول والالتزام، ويضاد ذلك الاستكبار، يستكبر ويعتقد أنه ليس ملزما ولا مخاطبا، وليس مأمورا بهذا الأمر، يسعه أن يخرج عن الشرعية التي جاء بها النبي ﷺ ولو بأمر واحد، فإن هذا قد انتقض في حقه شرط القبول.

اضرب لك مثالًا: ما رأيكم في رجلين الأول ما حج مع قدرته، يقول: أنا مشغول بالدنيا وبالتجارة وبالأولاد ما عندي وقت، ولكن أعلم أني مقصر، وأني يجب أن أحج وأني ملزم بالحج، وإني أن لم أحج فإني عاصي، وربما إذا مت على هذا فالله ﷻ يعاقبني ولا يعفو عني.

وشخص آخر يقول: أنا لست مخاطبا أصلا بالحج، أنا لست ملزما بالحج، الحج عليكم، أما أنا ما علي حج، ما رأيكم في الرجلين؟

الأول: لاحظ أن كليهما ما حج، لكن الأول يعتبر مسلم عاصي، والثاني: كافر، لأنه انتقض في حقه شرط القبول.

لابد أن يقابل الأحكام بماذا؟ لابد أن يقابل الأحكام بالقبول، لابد أن يذعن لابد أن يقبل لابد أن يلتزم.

الشرط السابع والأخير: شرط الانقياد، شخص قال: لا إله إلا الله عن علم ومحبة وصدق وإخلاص وإلتزم بهذا الدين أخبارا وأحكاما، فبقي عليه أن يقوم بالفعل بالإذعان والعمل.

والدليل على هذا قوله جل وعلا: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾العروة الوثقى هي لا إله إلا الله كما فسرها العلماء.

الذي أسلم وجهه هذا أتى بلا إله إلا الله، لكن لابد من شيء آخر وهو:﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يعني انقاد بالفعل لأحكام الشريعة، انقاد بالإخلاص وترك التوحيد والعمل بالشريعة في الجملة انتبه، انقاد للإخلاص وترك الشرك والعمل بالشريعة في الجملة.

وبالتالي: فإن شرط الانقياد ينتقض في حق رجلين: الأول الذي قال: لا إله إلا الله وأحب وقبل إلى آخره، ولكنه أشرك مع الله، دعا غير الله، ذبح لغير الله، نذر لغير الله، تعبد لغير الله بالطواف ما حكمه؟ كافر ما نفعته لا إله إلا الله، والسبب: ما حصل منه الانقياد، لابد أن ينقاد بالتوحيد، نحن علمنا تعريف الإسلام الاستسلام لله، بالتوحيد، فهذا ما حصل منه انقياد للتوحيد، إذن انتقض في حقه لا إله إلا الله.

الرجل الثاني: هو الذي ما عمل لله ﷻ شيئا ألبتة، قال لا إله إلا الله وجلس، تأتيه الأوامر تلوا الأوامر وهو لم يعمل شيئا منها ألبتة فهذا انتقض في حقه شرط الانقياد، الله جل وعلا يقول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾إذن الدين لابد فيه من طاعة، لابد فيه من عمل، فمن لم يعمل فإنه ما دان لله ﷻ بدين، إذن لابد من طاعة ولابد من عمل، وكاذب من يقول: إن في قلبه إيمان ولكنه لا يعمل بجوارحه شيئا، هذا كاذب قطعاً، والدليل على هذا: قول النبي ﷺ: «**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله**».

إذن الذي ما عمل شيئا من الواجبات ألبتة، لا صلى ولا صام ولا حج ولا زكى ولا فعل شيئا من الواجبات التي اختص بإيجابها محمد ﷺ، فإنه ما أتى بشرط الانقياد، هذا عند العلماء يسمى: التولي والإعراض، ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ﴾أتوا بالنطق ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ أتوا بالقول، لكنهم ما أتوا بماذا؟ ما أتوا بالعمل، وبالتالي فإنه لا تنفعهم لا إله إلا الله.

إذن شرط الانقياد ينتقض في حق رجلين:

الأول: المشرك.

والثاني: المتولي عن الطاعة.

....

وهنا سؤال يكثر: **ما الفرق بين شرطي القبول والانقياد؟** أظن أن بالشرح الماضي يتضح الفرق بين الشرطين.

الفرق بينهما: أن القبول أصل ثمرته الانقياد، العلاقة بينهما علاقة أصل وفرع، القبول أصل فرعه الانقياد، إذن إلتزم وأذعن فإنه يلزمه بعد ذلك أن يفعل بالفعل، أن يفعل في الجملة.

وإذا كان يقصر في بعض الواجبات باستثناء الصلاة فإنه مسلم، لكن حديثنا في من ترك تركا كليا، ترك الواجبات بالكلية، ما عمل لله ﷻ واجباً بقلبه وجوارحه، فإنه لا ينفعه نطقه بلا إله إلا الله.

هذه الشروط السبعة هي شروط لا إله إلا الله، وهي التي كما قدمت يتفاوت الناس في انتفاعهم بلا إله إلا الله بحسب قيامهم بهذه الشروط.

فالله الله بالعناية بها، وأن يزن الإنسان نفسه من حيث قيامه بهذه الشروط، فإن الشأن فيها والله عظيم.

نحن يا إخواني نتحدث عن أمر عظيم عن أصل الدين، عن حقيقة الإسلام والإيمان عن الأمر الذي به نجاتك، ربما تكون مقصراً وربما تكون جاهلًا، وربما تكون عاصيًا، ولكن أن يكون عندك تقصير في هذا الأمر العظيم، وهو أصل الدين، فإن الأمر والله عاقبته وخيمة، هذه المسألة لا ينبغي أن تتناولها بأطراف أصابعك، إذن ينبغي عليك أن تعكف عليها، بالفهم والدراسة والفقه ومن ثم بالعمل والتطبيق.

(النص على أن للا إله إلا الله شروطًا، هذا قديم كما علمنا ونص عليه العلماء من أهل التابعين ولم يزالوا، لكن تحريرها وتقريبها في هذه الأمور السبعة التي دلت عليه الشريعة، أول من نص عليها بهذا الترتيب فيما أعلم: هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله الذي هو حفيد إمام الدعوة، نص عليها في كتابه (فتح المجيد) وفي غيره أيضًا.

وتلقى هذه الشروط العلماء عنهم بالقبول واستقرت عند علماء التوحيد وفي مصنفات التوحيد، وهي شروط صحيحة، وليس العبرة بمن الذي جمع وأين جمع، العبرة بأن هذه الشروط صحيحة ومستفادة من الكتاب والسنة وهذا القدر كاف في تلقي هذه الشروط.

هل يمكن أن نقول: إن بعض شروط لا إله إلا الله معناها متداخل؟

....

الجواب: لا لكن نقول: متقارب، أو بعضها بينه وبين البعض الآخر تلازم، ثمة تلازم، ثمة تقارب، لكن الفهم الدقيق لها يدلك على أنه ليس هناك تكرار أو تداخل في المعنى، إنما هناك قرب وتلازم)[١].

(١) من الأسئلة للشيخ حفظه الله

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ودليل شهادة أن محمد رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ومعنى شهادة أن محمد رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع).

المؤلف رَحِمَهُ اللهُ عطف على بيان شهادة أن لا إله إلا الله بيان شهادة أن محمد رسول الله ﷺ الشهادة لنبينا الكريم محمد ﷺ بالرسالة هي الشهادة القرينة لشهادة أن لا إله إلا الله. إذ لا تنفع إحداهما إلا بالأخرى. فمن أتى بلا إله إلا الله وأبى أن يأتي بأن محمد رسول الله فإنه لا تنفعه لا إله إلا الله، كما أن من أتى بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺ و لم يأت بشهادة أن لا إله إلا الله فإنها لا تنفعه.

إذن لابد من الشهادتين لابد أن يشهد الإنسان الشهادتين وإلا فإنه لا تنفعه إحداهما بانفراد، ولو تأملت هذا الأمر وهو التلازم بين الشهادتين فإنك تدرك السبب الذي لأجله جاء التنصيص على شهادة أن لا إله إلا الله في كثير من النصوص دون الشهادة بأن محمداً رسول الله ﷺ تجد في كثير من الأحاديث مثلا أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة من قال لا إله إلا الله كان له كذا وكذا دون أن يؤتى بشهادة أن محمداً رسول الله ﷺوالسبب هو ما ذكرته لك، وهو أن الشهادتين متلازمتان فمن جاء بلا إله إلا الله فإنه لابد أن يأتي بأن محمد رسول الله وإلا فإن إحدى الشهادتين لا تنفع.

ويؤيد ويبين هذا أكثر أن لا إله إلا الله ماذا تعني؟ لا معبود حق إلا الله، والعبادة كيف يمكن أن نعرفها من غير طريق النبي محمد ﷺ فأتضح بهذا أن لا إله إلا الله تتضمن الشهادة بأن محمداً رسول الله. كما أن الشهادة بأن محمد رسول الله تتضمن الشهادة بأن لا إله إلا الله. فلا انفكاك بين الشهادتين لا انفكاك بين الشهادة لله بالوحدانية والشهادة لنبيه صلى الله بالرسالة.

ماذا تعني شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ؟ كلمة الشهادة سبق لنا معرفة معناها وقلنا إن قول القائل أشهد يعني أنطق بما أعلم وأتيقن أشهد يعني أنطق بما أعلم وأتيقن من أن محمداً ﷺ رسول الله.

شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ تعني اعتقاد أن محمد ابن عبدالله القرشي الهاشمي ﷺ رسولٌ من عند الله، وأن رسالته عامة للثقلين الجن والإنس، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، شهادة أن محمد

رسول الله ﷺ تعني اعتقاد أن محمد ابن عبدالله القرشي الهاشمي رسولٌ من عند الله، وأن رسالته عامة للثقلين (الجن والإنس) وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين.

ومقتضى هذا ولازمه: طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع، إذن عندنا في الإيمان بشهادة أن محمد رسول الله ﷺ هذا الاعتقاد الذي ذكرناه:

أولًا: أنه رسول من عند الله ﷻ، الله أرسله وما محمد إلا رسول﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

إذن محمد ﷺ رسولٌ من عند الله، يجب على جميع الناس أن يعتقدوا هذا الاعتقاد فمن شك فيه فإنه ما دخل الإسلام، ومن شك بعد دخوله في الإسلام فقد ارتد. إذن لابد من اعتقاد جازم بأن هذا النبي الكريم محمداً ﷺ رسول الله. الله ﷻ هو الذي بعثه واصطفاه بالنبوة والرسالة.

ثانيًا: أن تعتقد أن ﷺ رسالته عامة لجميع الثقلين "الجن والإنس" قال جل وعلا ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾

فكل الناس منذ بعثة النبي ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يجب عليهم أن يؤمنوا بهذه النبوة وبهذه الرسالة المحمدية.

فهذا أمر قطعي في الشريعة معلوماً للضرورة جميع البشر وجميع الإنس قد بعث إليهم هذا النبي ﷺ قال ﷺ: «**أعطيت خمس لم يعطى هن أحد قبلي قال ومنها بعثت إلى الأحمر والأسود**» والله جل وعلا أرسل نبيه محمداً ﷺ كما نص في كتابه ﴿لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما العالمون: "الإنس والجن"، والله جل وعلا أخبر أن جن ناصبين الذين إلتقاهم النبي ﷺ ودعاهم فآمنوا أنهم لما رجعوا إلى قومهم قالوا يا قومنا أجيبوا داعي الله، إذن كان النبي ﷺ مبعوثاً أيضًا إلى الجن، فعلى جميع الجن أن يؤمنوا بنبوة هذا النبي الكريم ﷺ ويتبعوه.

أيضًا وهو الأمر الثالث: يجب الاعتقاد الجازم بأن النبي ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي ولا رسول بعده،كما قال جل وعلا وخاتم النبيين فالنبي ﷺ آخر رسول، به ختمت النبوة والرسالة وكل من جاء بعده ﷺ وأدعى النبوة أو الرسالة فإنه دجال كاذب.

....

وقد أخبر النبي ﷺ بأن بعده سوف يظهر دجالون كذابون ثلاثون يدعون أنهم أنبياء لله تبارك وتعالى، فأخبرنا النبي ﷺ بذلك حتى نحذر وحتى نكون على بنية من هذا الأمر، هذا الاعتقاد لا ينفعك إلا إذا عملت بمقتضاه وعملت بلازمه ومقتضاه ولازمه هو ما بينه الشيخ رحمه الله إذا هذا التعريف الذي أورده الشيخ هو تعريف باللازم وبالمقتضى، فمقتضى هذا الاعتقاد بأن محمدا رسول الله ﷺ هذه الأمور الأربعة **(طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع)** أما طاعته فيما أمر:

فإن على جميع العباد أن يعتقدوا إلتزام أوامر النبي ﷺ وسنته وشريعته، بمعنى أن يعتقدوا أنهم ملزمون ومخاطبون وينبغي عليهم أن يتبعوا هذا النبي ﷺ تكليفاً، فمن زعم أنه يسعه الخروج عن سنة النبي ﷺ وأنه ليس مكلفاً ولا مخاطباً ولا ملزماً بإتباع النبي ﷺولو في أمر واحد فإنه باتفاق المسلمين قد خرج عن الإسلام، بل يجب عليه أن يذعن ويلتزم ويقبل ويعتقد أنه مخاطب ومكلف فيما جاء في سنة النبي ﷺ هذا أمر.

الأمر الثاني: من عصى النبي ﷺ في بعض الأوامر واستجاب في بعض فإنه يكون مسلمًا عاصيًا، أما من ترك الاستجابة للنبي ﷺ والعمل بأوامره كلها فإنه لاشك أنه ليس بمسلم، لأن طاعة النبي ﷺ هي لازمة لاعتقاد نبوته ورسالته وإلا فما فائدة هذا الاعتقاد!!

قال جل وعلا ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ ﴾ إذن من لم يطع هذا النبي فإنه لم يكن مؤمناً به من لم يطعه بالكلية و لم يستجب له ألبتة فإنه ليس له حظا في الإسلام. لكن من استجاب في بعض وقصّر وخالف مع اعتقاده أنه ملزم ومطالب ومخاطب بما جاء في أوامر النبي ﷺ فإن هذا مسلم عاص، والدليل على وجوب طاعة النبي ﷺ فيما أمر كثيرة:

قال جل وعلا: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ قال ﷺ: **«ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»**

الأمر الثاني: تصديقه ﷺ فيما أخبر، النبي ﷺ أخبر في أحاديثه بأخبار كثيرة منها ما يتعلق بالواقع ومنها ما يتعلق بالماضي ومنها ما يتعلق بالمستقبل.

وحقيقة الشهادة له ﷺ بالرسالة تقتضي أن يكون الإنسان مصدقاً له ﷺ في كل ما أخبر به. فإذا أخبر بما حصل في الماضي من أحوال الأمم السابقة أو مما جرى في خلق السموات والأرض أو

....

ما سيكون من أمور المعاد والجنة والنار وعرصات القيامة أو ما قبل ذلك من أشراط الساعة وما يدور في فلك هذه الأمور فإنه يجب على كل إنسان أن يؤمن بذلك إيماناً كالشمس كأنه يرى الشمس.

ومن كذب النبي ﷺ في حديث واحد بل من كذبه في كلمة واحدة بل من كذبه في حرف واحد **فإنه كافر باتفاق المسلمين**.

كذلك من شك في صدق النبي ﷺ و لم يجزم بصدقه ولو في حديث بل ولو في كلمة بل ولو في حرف فلا شك **أنه كافر باتفاق المسلمين**.

إذن هذه قضية ينبغي أن تكون منك على بال وأن تستحضرها دائماً في ذهنك فكل ما جاء عن النبي ﷺ وثبت عنه بالإسناد الصحيح فيجب عليك أن تعتقده اعتقاداً جازما، أخرج الشيخان أن النبي ﷺ قال مرة لأصحابه: **«إن رجلًا ركب بقرة فالتفتت إليه وقالت إني لم أخلق لهذا إنما خلقت للحراثة»** فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم فقال النبيﷺ: **«فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر»** وكان أبو بكر وعمر ليسا في الحاضرين لكن النبي ﷺ أخبر بأنهم يصدقان بهذا ولو لم يكونا حاضرين بل ولو لم يكونا قد سمعا بهذا الحديث.

وهذا دليل على أن الإيمان يقتضي تصديق النبي ﷺ ولو كان الأمر فيه نوع من الغرابة.

ثم قال النبي ﷺ: **«إن ذئبًا عدا على غنم فأخذ منها شاة فعدا الراعي خلفه فاستنقذها منه فالتفت إليه الذئب وقال ومن يحميها مني يوم السبع يوم لا راعي لها غيري»** فقال الناس: سبحان الله فقال النبي ﷺ : **«فإني أؤمن به وأبو بكر وعمر»** إذن النبي ﷺأخبر والحديث في الصحيحين أن بقرة بقدرة الله تكلمت، وأن ذئباً بقدرة الله تكلم، ما الذي يجب علينا؟ أجيبوا يا جماعة، يجب علينا التصديق الجازم بهذا الأمر، ومن كذب أو شك بعد علمه أن النبي ﷺ قال هذا فإن عليه أن يعلم أن إيمانه قد ذهب، فيجب علينا أن نؤمن بكل ما أخبر به النبي ﷺ كأنه رأي عين فالنبي ﷺ هو الصادق المصدوق ﷺ.

الأمر الثالث: الذي هو من لوازم اعتقاد أن محمدا رسول الله ﷺ اجتناب مانهى عنه وزجر والكلام في مسائل المنهيات على وزان الكلام في المأمورات، فمن لم يجتنب ما نهى عنه النبي ﷺ لعدم التزامه بذلك لأنه يستكبر عنه لأنه يرى أنه غير مخاطب ولا مكلف ولا يلزمه إتباع النبي ﷺ

في شأن المنهيات فلا شك في كفره كما سبق، أما من كان يستجيب للنبي ﷺ ويعتقد أنه مخاطب بكل ما جاء في حديث النبي ﷺمن المنهيات ولكنه تغلبه نفسه والشيطان فيقع فيما نهى عنه النبي ﷺ ولكن يعتقد أنه عاص ويعتقد أنه مخالف للسنة فإن هذا سبيله بقية العصاة الذين وقعوا فيما نهى عنه النبي ﷺ وهم متوعدون بالعذاب لكنهم من أهل الإسلام.

الأمر الرابع: أن لا يعبد الله إلا بما شرع ﷺ كل الطرق إلى الله جل وعلا مسدودة إلا طريق محمد ﷺ لا يمكن ألبتة أن يوصل إلى الله وإلى رحمته وإلى جنته إلا من طريق النبي محمد ﷺ فمهما حاول الإنسان أن يجد طريقا أخرى برياضة روحية أو بتأمل وتفكر أو بقواعد منطقية أو بأصول فلسفية أو برؤى ومنامات أو بكشوف وما دار في فلك هذا فإن ذلك كله لا يوصل إلى الله ﷻولا ينفع الإنسان ألبتة عند الله إنما ينفعه فقط أن يتبع النبي ﷺ.

فالله جل وعلا لا يعبد بالبدع ولا يعبد بالمحدثات ولا يعبد بالآراء، إنما يعبد بما جاء من طريق النبي محمد ﷺ، فنحن ضُلاّل إلا إذا هدانا الله ﷻ

بإتباعه ﷺ نحن جهال إلا إذا أنار الله ﷻ بصائرنا بسنته ﷺ نحن لا نعرف شيئاً يوصل إلى الله تبارك وتعالى.

الفطر تدل على الله ﷻ إجمالًا، لكن على وجه التفصيل العبادات والمأمورات والمحبوبات لله ﷻ لا يمكن أن يصل إليها الإنسان إلا من طريق النبوة.

والنبي ﷺ هو الذي بعث إلينا معشر أمته، وأمته هي كل من كان يوماً أن خرج النبي ﷺ على الناس وقال إني رسول الله إليكم وإلى انتهاء هذه الحياة كل أولئك من أمة الدعوة الذين تلزمهم وتشملهم دعوة النبي ﷺ.

ثم بعد ذلك ينقسم الناس إلى أهل سعادة وإلى أهل شقاوة من استجاب إلى النبي ﷺ فإنه هو الحـــي فإنه هو السعيد ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ إذن كل الناس موتى، موتى القلوب إلا من أحيا الله ﷻ قلبه بالاستجابة للنبي محمد ﷺ.

إذن إذا علمت هذا يا رعاك الله فعليك أن تكون في هذه القضية حذراً ومتنبهاً لا تخطو خطوة واحدة في طريق العبودية إلا وعندك دليل وبرهان من سنة النبي ﷺ، وإلا فاعلم أنك تمشي في طريق خاطئ.

أنتبه لهذه القضية المسألة في غاية الأهمية إياك أن تخطو خطوة واحدة في طريق العبودية تعتقد أن هذا خير يقرب إلى الله يكسب الحسنات، يوصل إلى الجنة، إلا وعندك برهان ودليل وخاتم النبوة على هذا الفعل وإلا فأنت تسير في طريق خاطئ.

فأولًا لن تنال حسنة لأنه لا يمكن أن تكتسب الحسنة إلا من طريق النبي ﷺ ثم يا ليت أن الأمر يقف عند هذا الحد بل ثمة عقوبة وثمة إثم وثمة وعيد بالعذاب.

النبي ﷺ كان يخطب أصحابه ويكرر عليهم هذه الخطبة حتى ترسخ في الأذهان أما بعد فإن أصدق الحديث كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور ماذا؟ محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، إذن القضية محسومة، القضية ليست محل للاجتهاد القضية منتهية إما أن تسلك طريق النبي ﷺ أو أنت على خطر قال جل وعلا ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ إذن عندنا طريقان ليس لهما ثالث، إما أن تكون مستجيباً للنبي ﷺ وإلا فأنت قطعاً تستجيب للهوى والهوى يهوي بصاحبه في الخطر بل في غضب الله ﷻ وعذابه، فلا تفعل شيئا من أنواع العبادة التي تقرب إلى الله إلا وقد علمت أن النبي ﷺ أخبر بذلك وما أحسن ما قال إمام دار الهجرة إمام هذه المدينة الطيبة ألا وهو الإمام مالك بن أنس رحمه الله قال كلمة تستحق أن تكتب بماء العين تستحق أن تحفظ قال "من أبتدع بدعة يراها حسنة" قف عند كلمة يراها حسنة فما أكثر ما نسمع في هذه الأزمنة من يقول بدعة ولكن ماذا؟ حسنة تقول يا أخي هذه بدعة هذا أمر محدث ما فعله النبي ﷺ يقول نعم ولكنها بدعة حسنة إذن لا بأس.

أسمع فتوى الإمام مالك رحمه الله في البدعة الحسنة، قال "من ابتدع بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة"، سبحان الله زعم ماذا؟ أن محمدا ﷺ خان الرسالة، لم؟ قال فإن الله تعالى يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ **فما لم يكن بالأمس ديناً فلن يكون اليوم ديناً"**

....

ما أحسن هذه الكلمة، ما لم يكن بالأمس متى الأمس؟ في عهد النبي ﷺ ما لم يكن هذا الفعل يتعبد لله ﷻ فيه فإنه لا يمكن أن يكون اليوم ديناً، فما لم يكن بالأمس دينا لا يكون اليوم دينا.

الإمام سعيد بن المسيب رحمه الله سيد من سادات التابعين وعابد من كبار العباد كان هنا بالمدينة، ويوما من الأيام بعد آذان الفجر رأى رجلاً صلى سنة الفجر ثم زاد ركعتين وركعتين أصبح يوالي الركعات يصلى فنهاه سعيد رحمه الله قال له: لا تفعل، الرجل ماذا يفعل؟ يصلي، وسعيد ماذا صنع؟ نهاه قال لا تفعل، فقال الرجل يا أبا محمد أو يعذبني الله على الصلاة؟ يعني أنا أكذب الآن أو أغتاب أو أسرق أو ماذا أصنع؟ أنا أصلي، فهل الله ﷻ سيعذبني على أن أصلي؟ سؤال له وجاهة أليس كذلك؟ لكن أسمع الجواب الأوجه قال رحمه الله **"لا، ولكن يعذبك على ترك السنة"**، يعذبك على ماذا؟ على ترك السنة هنا الخطر أن تعلم أن النبي ﷺ ما زاد على ركعتين بعد آذان الفجر بل قد نهى عن الزيادة عن الركعتين ثم تأتى أنت وتزيد ماذا تريد؟ أتريد أن تكون أعبد لله من رسول الله ﷺ !أتريد أن تكون أتقى لله من الرسول ﷺ! لا يمكن أن يكون هذا.

إذن هنا الخطورة أن يعلم الإنسان السنة فلا يقف عندها، بل يتجاوزها ويزيد ويحدث وهنا يكون قد عرض نفسه للخطر.

إذن لا يمكن أن يعبد الله تبارك وتعالى إلا بما جاء عن رسول الله ﷺ وإلا فإن هذه العبادة باطلة. قال ﷺ: **«من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»**

لا يمكنه أن يكون مقبولًا وليس عليه الختم النبوي ليس عليه آثارة من العلم المحمدي ﷺ.

إذن هذه القضية من الأهمية بمكان ووالله لو أن هذه الأمة سلكت سبيل ونهج وطريق النبي ﷺ في كل صغير وكبير ووقفت عنده و لم تتجاوزه والله لكان الحال غير الحال، لأصبحت أحوالنا في أحسن حال، لأن كل خير في الدنيا والآخرة، فهو معلق باتباع هذا النبي ﷺ، كل خير، ماذا يريد الإنسان؟ يرد الهداية، لا سبيل لها إلا من طريق هذا النبي صلي الله عليه وسلم، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، ماذا تريد؟ تريد الجنة؟ ليس لها طريق إلا من طريقه ﷺ، قال ﷺ: **«كل أمتي يدخلون الجنة، إلا من أبى، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»**، ماذا تريد؟ تريد السعادة، تريد الخير، تريد أن تتجاوز عقبات هذه الحياة؟ أيضًا ذلك في إتباع السنة، ألم يقل النبي ﷺ: **«وجعل الذِلةُ والصغار**

....

على من خالف أمري»، ذلة وصغار، كثير من الناس يجد أن حياته طريقها معكوسة، كلما وجد طريق وجده مغلق في وجهه، مشاكل، في الأسرة، في العمل، في الحياة، راجع نفسك، ربما أتيت من هذه الجهة، من جهة عدم إلتزامك بإتباع النبي ﷺ واقتصارك عليها، تذكر هذا الحديث دائماً **«وجعل الذِلةُ والصغار على من خالف أمري»**، إذن، هذه هي الأمور الأربعة التي هي لوازم للشهادة لنبينا ﷺ بالرسالة، ويبقى التنبيه على أن الشروط التي ذكرت في درس أمس، لـِ شهادة أن لا إله إلا الله، هي نفسها منسحبة على شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ، نحن أخذنا شهادة أن لا إله إلا الله، كم شرط؟ سبعة شروط، هذه الشروط هي شروط في الحقيقة للشهادتين، الشروط التي ذكرناها العلم واليقين والقبول والانقياد والمحبة والصدق والإخلاص، هذه تنطبق أيضًا على شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾

أخبر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بدليل هذه الأمور الثلاث التي هي الأركان الثلاثة للإسلام، ألا وهي الشهادة ألا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، قال دليلها: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ ولاحظ دقة الشيخ وفقهه حينما قال إن هذه الآية دليل على تفسير التوحيد، دليل على تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فمن يأتي ببيان ذلك؟ نحن قلنا أن شهادة لا إله إلا الله تدل على شيئين، على النفي، والإثبات، فأين النفي والإثبات في هذه الآية ؟ ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ لا إله دل عليه، على هذا الجزء قول الله جل وعلا حنفاء، وإلا الله دل عليه قوله جل وعلا: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ وكيف كانت كلمة حنفاء دليل على النفي؟ مر بنا في درس سابق أن الحنف هو الميل، الحنف في اللغة هو الميل، ويقال لمن به ميل في رجله أحنف، ومنه سمي الأحنف بن قيس، ومعنى قول الله جل وعلا (حنفاء) يعني مائلين عن الشرك إلى التوحيد، والميل عن الشرك يقتضي البراءة من كل معبود سوى الله ومن عابديه، حنفاء يعني أنهم مائلون عن الشرك، وهذا يقتضي أنهم براء، حصل منهم براءة من كل معبود سوى الله ومن عابديه، وبذلك يكون في هذه الآية دليل على تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، قال: ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ووصف الله جل وعلا أن هذه الأمور الثلاثة هي دين القيمة، وذلك لأن هذه الأمور أعظم الأمور التي أمر الله تبارك وتعالى بها، إذن، الركن الثاني من أركان الإسلام، إقام الصلاة، الصلاة أعظم الواجبات على الإطلاق بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهي الحد الفاصل بين المسلم والكافر، ولذا فإن العلماء مجمعون على أن من جحد الصلاة وقال إنها لا تجب عليَ ولا يلزمني أن أصلي فهو كافر بالله عَزَّوَجَلَّ، والصحيح من كلام أهل العلم أن من ترك الصلاة تكاسلاً فإنه كافرٌ بالله جل وعلا، وبهذا يتضح لك أن الصلاة لها شأن ليس لغيرها من العبادات على الإطلاق، حتى إن الذي يتركها تكاسلاً وانشغالاً عنها مع اعتقاد وجوبها، فإنه ليس بمسلم على الصحيح من كلام أهل العلم، ودليل هذا قول النبي ﷺ فيما خرَّج الإمام مسلم: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**»، وقال ﷺ كما عند الترمذي وأحمد وغيرهما بإسناد صحيح، قال: «**العهد**

....

الذي بيننا وبينهم -يعني الكفار- الصلاة فمن تركها فقد كفر»، يقول عبد الله بن الشقيق التابعي الجليل رحمه الله: كان أصحاب محمد ﷺ، لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة.

يقول أيوب السختياني رحمه الله: كما أورد هذا محمد بن نصر في كتابه العظيم، تعظيم قدر الصلاة، قال: ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه، قال ترك الصلاة ماذا؟ كفر لا يختلف فيه.

ويقول إسحاق بن راهويه رحمه الله الإمام الجليل الذي كان يقرن بالإمام أحمد وبالإمام الشافعي، يقول رحمه الله: ترك الصلاة كفر من لدن عهد النبي ﷺ وإلى يومنا هذا، ترك الصلاة كفر منذ عهد النبي ﷺ يقول إسحاق إلى يومنا هذا، إذن ترك الصلاة له شأن عظيم، وصدق عمر رضي الله عنه، حينما قال لما طعن لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة، لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة. إذن تنبّه يا أيها المسلم، قضية الصلاة ليست قضية سهلة، وليست قضية كما يقولون عادية، إن صلى الإنسان فالحمدلله، وإن لم يصلي فلا بأس، لا والله، الأمر في ذلك ليس كذلك، بل من ترك الصلاة عامداً متعمداً، وهو مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هذا هو القول الصحيح أنه يكون بترك الصلاة مرتداً عن دين الله عز وجل، حتى إنه إذا مات فإنه لا يعامل معاملة المسلمين، بل يعامل معاملة المرتدين، إذا المسألة ليست سهلة، تفقد نفسك، تفقد من حولك، تفقد والديك، تفقد أبناءك، تفقد زوجك، تفقد إخوانك، تفقد أقرباءك، وناصح، وبين، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر، لعل الله عز وجل أن يهدي عليك، من شاء أن يهدي على يديك من شاء من خلقه.

الركن الثالث: إيتاء الزكاة، الزكاة قرينة الصلاة في كتاب الله، فكم في كتاب الله الإقـران بـين الزكاة والصلاة ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ والزكاة واجبة بالإجماع، وهي ركن من أركـان الإسلام، وتجب في أربعة أصناف من المال:

أولًا: تجب في النقدين الذهب والفضة وما يجري عليه حكمهما، وذلك هو الأوراق النقدية، الأوراق المالية، التي نسميها النقود، التي نسميها الفلوس، هذه يجب فيها الزكاة.

ثانياً: السائمة من بهيمة الأنعام، الإبل والبقر والغنم، ومعنى سائمة التي ترعى في المراعي، وليس التي تعلفها أنت، وتطعمها وتسقيها أنت، وأيضًا عروض التجارة، يعني الأشياء التي تكون معروضة للتجارة، أياً كانت، سواء كانت مواد غذائية، أو كانت سيارات، أو كانت مواد بناء، أو أي شيء

من هذه الأمور المباحة التي يتاجر بها الإنسان، فلابد فيها أيضاً، من أن تُزكى، الأمر الرابع: الخارج من الأرض، الحبوب والثمار، فإنها على تفصيل فيها، يجب فيها إخراج الزكاة ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ وأما الذي يُخرَج، فإن ذلك فيه تفاصيل، وكل له حكم بين النقدين أو الخارج من الأرض أو ما كان من السائمة من بهيمة الأنعام، كل شيء من هذا له حكمه، لكن الذي يتعلق به حاجة أكثر الناس اليوم، هو ما يتعلق بزكاة النقدين، فيُقال: إن زكاة النقدين، الذهب والفضة والأموال، واجبة إذا بلغت نصاباً، واستقر الملك، وحال الحول، وكان صاحب هذا المال حُراً، أما المملوك فإنه لا يجب عليه الزكاة، لا بد أن يكون قد ملك هذا النصاب مدة سنة، حال الحول، ولا بد أن يبلغ هذا المال نصاباً.

أما الذهب: فنصابه في قول أكثر العلماء خمسة وثمانون غراماً، خمسة وثمانون جرام من الذهب فإنها نصاب، فمن بلغ عنده الذهب هذا القدر فأكثر، يجب عليه أن يزكي.

أما نصاب الفضة: فذهب طائفة من أهل العلم إلى أنه خمس مئة، إلى أنه خمس مئة وخمس وتسعون جراماً من الفضة.

وبعضهم يقول: أربعمئة وستون جراماً من الفضة.

وأما بالنسبة للأموال النقدية: فإنها تقدر بالأقل من النصابين، هذا هو الراجح في المسألة والله أعلم، وهو الأحظ للفقير، أنك تسأل عن نصاب الذهب أو الفضة، عن نصاب الذهب والفضة، تأخذ بالأقل، فإذا كان المال الذي عندك يساوي الأقل من النصابين، فيجب عليك أن تُزكي، وإذا كان المال الذي عندك أقل، فإنه لا يلزمك أن تُزكي.

كذلك بالنسبة للتجار: الذين عندهم أشياء للتجارة، فإن عليهم عند حولان الحول، وانتبه إلى هذه المسألة، **لا يجوز لك أن تؤخر الزكاة عن موعدها ولو ساعة واحدة**، بعض الناس يتساهل، ويؤخر الزكاة عن وقتها المحدد، لسبب أو لآخر، ولا يعلم أنه آثم بكل دقيقة تأخير، متى ما حال الحول يجب فوراً أن يُخرج، هذا حق الفقراء ويجب أن يعطَوه، ويجوز أن تقدم الزكاة عن وقتها، تقديم الزكاة عن وقتها لا بأس به، لكن التأخير هو الإشكال، لا يجوز لك ذلك، فتقوّم هذه البضاعة، عند حولان الحول، لا بقيمة شرائها، وإنما بالقيمة التي تساويها في السوق الآن، ثم تُخرِج ربع العشر، في كل الأموال يجب عليك أن تُخرِج ربع العشر، يعني اثنان ونصف بالمئة، والطريقة

....

السهلة لحساب الزكاة، هو أنك تقسم المال الذي تريد إخراجه على أربعين، وبالتالي يخرج لك ربع العشر، اقسم على أربعين يتضح لك الزكاة، يعني لو كان عندك مبلغ هو عشرة آلاف مثلاً، فإنك تقسمه على أربعين، فإنه يخرج لك المطلوب، يخرج لك المطلوب، ففي كل مئة اثنان ونص، في كل ألف خمسة وعشرين، في كل عشرة آلاف عليك أن تخرج مائتين وخمسين وهكذا. هذا هو الركن الثاني، هذا هو الركن الثالث من أركان الإسلام،

الركن الرابع: هو الصيام، صيام رمضان، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾، كتب يعني أضحت هذه العبادة واجبة، وأدلة إيجاب الصيام كثيرة في الكتاب والسنة ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُ ﴾مر معنا في حديث ابن عمر بني الإسلام على خمس، صوم رمضان، وهذه العبادة نحن نعيشها ولله الحمد في هذه الأيام، والأكثر أو الكل بحمد الله قد تفقهوا في حكام هذه العبادة.

أما الركن الخامس: والأخير هو حج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، ودليله قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ حج بيت الله الحرام، ركن من أركان الإسلام، وواجب على كل مسلم، وواجب كفائي على جميع الأمة، يعني يجب أن يكون في الأمة من يحج إلى بيت الله الحرام كل عام، أما بالنسبة للأفراد، بالنظر إلى كل فرد فرد، فإنه يجب الحج في العمر مرة، وما زاد على ذلك فإنه تطوع، والحج له أحكامه وله مسائله الكثيرة، والكلام فيها يطول، ولعل في هذا القدر كفاية.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:(المرتبة الثانية، الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان، وأركانه ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾

هذا شروع من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان المرتبة الثانية من مراتب الدين، ألا وهي الإيمان، وقد مضى الكلام في المرتبة الأولى ألا وهي المرتبة الإسلام.

والإيمان: هو سبب النجاح عند الله تبارك وتعالى، وقد علق الله الجنة على النجاة، بل كل خير على تحقيق الإيمان، بل إن الله تبارك وتعالى قد علق على الإيمان في كتابه أكثر من مائة خصلة من خصال الخير.

الإيمان هو الغاية التي يسعى إلى تحقيقها كل من يريد النجاة عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

والإيمان في الشرع هو حقيقة مركبة من ثلاثة أمور: من قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعملٍ بالجوارح، لابد في الإيمان من اجتماع هذه الأمور الثلاثة، لابد من قول وهو الشهادتان، ولابد من اعتقادهم بالقلب، وهو كل ما أمر الله تبارك وتعالى باعتقاده، ويدخل فيه جميع الحسنات الباطنة التي يكون محلها القلب.

والأمر الثالث: الأعمال الصالحة بالجوارح وهي كل ما شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ من الطاعات التي تكون بالظاهر، يعني التي يفعلها الإنسان ببدنه، فلا إيمان إلا باجتماع هذه الأمور الثلاثة: قول، واعتقاد، وعمل، وهذا أساس مهم من أسس أهل السنة والجماعة في باب الإيمان، وأساس ثانٍ هو أن هذا الإيمان يزيد وينقص، فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان يزيد وينقص، وقد جاء النص على

....

زيادة الإيمان في ستة مواضع في كتاب الله تبارك وتعالى ومن ذلك قول الله جل وعلا: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ كما جاء ما يتعلق بزيادة الإيمان بألفاظ مقاربة كقوله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ وغير ذلك من الأدلة التي تدل على أن الإيمان يزيد، فإذا كان يزيد فهو بالتأكيد ينقص؛ لأن كل ما يقبل الزيادة فإنه يقبل النقصان، وقد قال ﷺ: **«ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداهن»** يعني النساء.

إذن يعتقد أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد وينقص، وهذا لا يحتاج فيه إلى دليل أكثر مما يحسه الإنسان في نفسه، فإنه تارة يحس بأن الإيمان يزيد وتارة يحس بأن إيمانه قد نقص، وهذه قضية لا تقبل الاشتباه بوجه من الوجوه.

ثمة أساس ثالث عند أهل السنة في باب الإيمان وهو: أن الناس متفاوتون في الإيمان، ليس الناس على درجة واحدة بل بينهم بون شاسع في الإيمان، وقد دل على تفاوت الناس في الإيمان، قوله ﷺ كما في الصحيحين: **«عرض علي الناس وعليهم قمص»** قمص يعني قميص، يعني هذا الثوب الذي تلبسه **«فمنها ما يبلغ الثدي»** تخيل ثوب يبلغ من القصر إلى حد الثدي **«ومنها ما هو دون ذلك»** أقصر من هذه الحال قال: **«ورأيت عمر بن الخطاب وعليه ثوب يجره»** يعني يلبس ثوب طويل، قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: **«الدين»** والدين والإيمان بمعنى واحد.

إذن الناس متفاوتون تفاوتًا عظيمًا في إيمانهم، وهم في الجملة على ثلاث درجات: جمعها قول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾

....

هذه الدرجات الثلاث هي:

أولًا: درجة أصل الإيمان: وأصحابها هم الذين أتوا بأصل الإيمان لكنهم مقصرون واقعون في معاصٍ لم يتركوا كل ما نهى الله عنه، وتاركون لبعض الأوامر ما فعلوا كل ما أوجب الله، فهؤلاء في أدنى الدرجات ويدخل فيهم الفساق والعصاة وهؤلاء من "أهل الوعيد"، متوعدون بالوعيد عند الله تبارك وتعالى.

المرتبة الثانية: مرتبة الإيمان الواجب، وهؤلاء أتوا بأصل الإيمان وزادوا على هذا فعل كل ما أوجب الله، وتركوا كل ما نهى الله عنه، فهؤلاء من "أهل الوعد".

فرق بين أهل الوعيد وأهل الوعد:

أهل الوعيد: متوعدون بعذاب الله ﷻ وناره وغضبه.

وأما أهل الوعد: فإنهم من أهل السعادة الذين وعدهم الله ﷻ بجنته ورحمته ونعيمه والله لا يخلف الميعاد.

المرتبة الثالثة: مرتبة الإيمان المستحب وأهلها زادوا على المرتبة الثانية فعل المستحبات وترك المكرهات والمشتبهات وفضول المباحات، وهؤلاء في أعلى الدرجات، هؤلاء من أرفع ما يكون، وهم أهل الوعد أيضًا ودرجتهم أعلى من درجة المرتبة السابقة وقد جمع النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه جلا وعلا أهل هاتين المرتبتين، فقال ﷺ فيما يرويه عن ربه جلا وعلا: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْب**» ثم قال: «**وَمَا تَقرَّبَ عَبْدِي إِلَيّ بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُه عليه**»، هؤلاء من أهل درجة الإيمان الواجب

....

ثم قال: «**وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**»، إذن أهل المرتبة الثانية والثالثة هم أهل الوعد وهم متفاوتون في ذلك، إذن حذار أن تظن أن الناس كلهم سواسية كأسنان المشط في

الإيمان، كلا، بل بينهم تفاوت عظيم، حتى أهل كل مرتبة هم فيها متفاوتون ولذا فهذا التقسيم تقسيم إجمالي.

فينبغي عليك أن تعرف أين أنت هل أنت من أهل الوعد؟ أم أنت من أهل الوعيد؟ ضع نفسك في المحل اللائق.

ثم بعد ذلك اعمل في ضوء ما تريد، هل تريد أن ترتقي إلى الدرجة الأعلى أو أنت راضٍ بما أنت عليه، إذن معرفتنا بهذه المراتب تشحذ الهمم للجد والاجتهاد والسعي في الرقي إلى درجات أعلى، فإن **الإيمان** درجات عظيمة متفاوتة، ينبغي على الإنسان أن يفني ساعات عمره في العمل على الارتقاء في هذه الدرجات، فإن منزلتك بحسب الدرجة التي تصل إليها في هذه الحياة.

إذن هذه هي الأسس التي قام عليها معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان:

أولًا: أن الإيمان قول وعمل واعتقاد.

وثانيًا: أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

وأما الأمر الثالث: فهو أن أهل الإيمان متفاوتون في إيمانهم.

هذا الإيمان شعب وأعمال كثيرة كما قال النبي ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**» هكذا أخرجه الإمام البخاري، أو «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسبعونَ شُعْبَةً**» هكذا أخرجه الإمام مسلم أو «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوبِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً**» على الشك كما عند الإمام مسلم أيضًا.

....

قال: «فَأَعلاها قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ» لاحظ أن ما ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث يجمع الأمور الثلاثة التي مضت، ذكر القول والاعتقاد والعمل، ولكن ثمة أمور ستة هي أركان الإيمان، فلا إيمان إلا باجتماعها وهي التي ذكر

الشيخ الدليل عليها في قوله جل وعلا: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ والأمر السادس هو القدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ وقد جمع النبي ﷺ هذه الأركان الستة كما في حديث جبريل المشهور المخرج في صحيح مسلم وسيأتي إن شاء الله في الكلام عن مرتبة الإحسان، أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.

نأخذ نبذة يسيرة عن كل ركن من هذه الأركان.

أولًا: الإيمان بالله جل وعلا:

وقد مضى الحديث عنه في الأصل الأول ألا وهو معرفة العبد ربه، وقلنا أن الإيمان بالله جل وعلا يقتضي الإيمان بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

الملائكة خلق من خلق الله جل وعلا، خلقهم الله سبحانه من نور وجبلهم على طاعته، فهم دائبون في طاعة الله جل وعلا، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يأمرون وهؤلاء الملائكة الكرام عباد مأمورون يدبر الله ﷻ بهم شئون هذا الكون، وكلفهم الله تبارك وتعالى بأعمال جليلة عظيمة:

منها ما يتعلق بإنزال غيث القلوب وهو الوحي، ومنها ما يتعلق بغيث الأرض وهو المطر، ومنها ما يتعلق بشأن الجبال، ومنها ما يتعلق بحفظ بني أدم، ومنها ما يتعلق بكتابة أعمالهم، ومنها ما يتعلق بقبض أرواحهم.

إلى غير ذلك من الأعمال الجليلة الكثيرة التي دل عليها الكتاب والسنة.

إيماننا بالملائكة يقتضي أمورًا:

أولًا: أن نؤمن بوجودهم فهم عباد مخلوقون موجودون وهم خلق حقيقي لهم صفات فلهم أيادٍ يفعلون بها ويحبون ويتكلمون ويسمعون، وليسوا كما يقولوا طائفة من العقلانيين الضالين، أنهم مجرد قوى لا حقيقة لها، هذا لا شك أنه باطل، هذا تكذيب بالكتاب والسنة، الملائكة مخلوقون وإن كان أصل خلقهم من نور، لكن هم كائنات ولها تصرفات ولها أعمال ولهم أعضاء يفعلون بها، منها أنهم لهم أيدٍ، والملائكة باسطوا أيديهم، كما أنهم يحبون، والله جل وعلا إذا أحب عبدًا نادي جبريل إني أحب فلان فأحبه فينادي جبريل في أهل السماء إن الله يحب فلان فأحبوه، وإلى غير ذلك مما جاء في النصوص في شأنهم، إذن نحن نعتقد بوجودهم.

ثانيًا: أن نؤمن بما علمنا من أسمائهم، جاء في الكتاب والسنة طائفة من أسماء هؤلاء الملائكة ومنهم: جبريل، ومنهم ميكائيل، ومنهم إسرافيل، ومنهم مالك خازن النار، ومنهم المنكر والنكير وهما الملاكان الموكلان بمحاسبة العبد وسؤاله في قبره، أيضًا الحفظة الذين يكتبون على ابن أدم أعماله، "عزرائيل" يشتهر عند بعض الناس أن ملك الموت اسمه عزرائيل، ولكن هذه التسمية غير صحيحة و لم تثبت لا في الكتاب ولا في السنة إنما الاسم الصحيح هو ما جاء في القرآن: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ﴾ إذن اسمه ملك الموت، كذلك يشتهر أن "رضوان" خازن الجن لكن هذا لم يصح عن النبي ﷺ، إذن نؤمن بما علمنا من أسماء الملائكة.

....

الأمر الثالث: نؤمن بما علمنا من صفاقم، وقد ذكرت لك بعضًا منها ومن ذلك أهُم أولوا أجنحة، أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء، وإذا رأى النبي ﷺ جبريل وله ستمائة جناح سد بها الأفق، ومع ذلك يعطيهم الله ﷻ القدرة على أن يتشكلوا في صور مخصوصة فهذا جبريل عليه السلام مع كونه على هذه الخلقة العظيمة كونه سد الأفق في نظر النبي ﷺ، ومع ذلك فإنه أتى في صورة رجل شديد بياض شديد سواد الشعر، إذن نؤمن بما علمنا من صفات الملائكة رضي الله عنهم.

الأمر الرابع: نؤمن بما علمنا من أعمالهم، وقد علمت طرفًا أيضًا من هذه الأعمال فمن ذلك: أن جبريل عليه السلام موكل بالوحي وهو أجل الملائكة وأشرفهم وأرفعهم قدرًا عند الله جل وعلا، وميكائيل موكل بالقطر يعني المطر، وإسرافيل موكل بنفخ الروح كما انعقد على هذا الإجماع.

وهؤلاء الملائكة الثلاثة هم أشرف الملائكة، وجاء تسميتهم في كتاب الله سبحانه وتعالى وجاء في سنة النبي ﷺ.

كذلك من أعمال الملائكة أنهم يكتبون أعمال ابن أدم، وذلك أن كل إنسان موكّل به ملكان أحدهم عن يمينه والأخر عن شماله، وأين يكونان بالضبط؟ بعضهم يقول على الكتفين وبعضهم يقول على العنفقة، وبعضهم يقول على الأضراس، وكل هذا لا دليل عليه، نحن نؤمن أنهم عن اليمين وعن الشمال لكن أين بالضبط الله تعالى أعلم، يكتبان على الإنسان كل شيء، وكذلك المعقبات التي تحفظ ابن أدم، لهم معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، كذلك الملك الذي وكله الله ﷻ بالجبال، وغير ذلك من أعمال الملائكة.

الملائكة خلق كثر، وأخبر النبي ﷺ كما في الصحيحين أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعين ألف ملك ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم، تخيل هذا العدد العظيم في كل يوم يدخل البيت المعمور

....

هذا العدد من الملائكة ثم لا يعودون إليه ألبتة، فهذا يدلك على أهم كثر وما يعلم جنود ربك إلا هو. هذه القضية هي الركن الثاني من أركان الإيمان.

الركن الثالث الإيمان بالكتب:

والكتب يراد بها كلام الله ﷻ الذي أنزله على أنبياءه ورسله، وذلك أن الله تبارك وتعالى أنزل كتابًا مع كل نبي ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ فالله جل وعلا من رحمته بعباده أنزل كتبًا تحوي كلامه تبارك وتعالى، فيه بيان عبوديته جل وعلا وحقوقه على عباده، وفيه بيان نعوته سبحانه وأسمائه، ويجب على العباد اتجاه رهم ومعبودهم سبحانه وتعالى.

وإيماننا بالكتب يقتضي أموراً:

أولًا: أن نؤمن بأن الكتب هي من كلام الله تبارك وتعالى، تكلم الله سبحانه وتعالى بها حقيقةً.

ثانيًا: نؤمن بما علمنا من أسماء هذه الكتب، والذي علمناه في الكتاب والسنة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، وصحف إبراهيم، وصحف موسى على خلاف هل هي صحف مستقلة غير التوراة أو هي التوراة، كذلك يجب علينا أن نؤمن بما جاء في هذه الكتب من أخبارٍ صحت في هذه الكتب، ومن ذلك ما أخبرنا الله جل وعلا به في القرآن ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ﴾

ولكن تنبه في شأن الكتب إلى أمرين مهمين:

الأول: أن هذه الكتب قد دخلها التحريف والتبديل: وبالتالي فإن ما يوجد الآن عند أهل الكتاب لا يوثق بأنه كلام الله تبارك وتعالى الذي أنزله على موسى، أو أنزله على عيسى عليهما

....

الصلاة والسلام، فإن التحريف قد وقع، نعم لا ينكر أن هناك قدر من هذا الموجود هو من كلام الله جل وعلا، لكن لا نستطيع التمييز الصحيح من غيره.**الأمر الثاني:** أن هذه الكتب قد نسخت بالقرآن الكريم، فبالتالي فإن العمل يجب أن يكون بالقرآن فحسب، ولا يجوز أن يعمل بغير القرآن فالقرآن ناسخ ومهمين على جميع الكتب التي تقدمت، إذا هذا من الأمر المهم الذي ينبغي أن يتنبه له الإنسان، والذي ينبغي على الإنسان أن يحرص على عدم قراءة شيء من هذه الكتب، فماذا يريد؟ فإن القرآن فيه الغِنى فيه الغَناء وفيه الكفاية ولا يحتاج الإنسان بعد ذلك إلى أن يقرأ غيره من الكتب، إنما أهل العلم قد يحتاجون إلى الاطلاع على شيء من هذه الكتب لتحقيق مصلحة شرعية أو دعوية أما غيرهم فإنهم لا ينبغي لهم أن يقرؤوا شيءً من هذه الكتب، وقد غضب النبي ﷺ لما رأى عمر رضي الله عنه وهو يقرأ صحفًا من التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام، إذن هذا أمرٌ ينبغي أن نتنبه له.

الركن الرابع الإيمان بالرسل:

والرسل: هم عباد الله الأخيار المصطفين الذين أرسلهم الله تبارك وتعالى إلى الناس ليكونوا واسطة بين الله جل وعلا والناس في تبليغ دين الله سبحانه وتعالى.

وإيماننا بالأنبياء والرسل يقتضي أمورًا:

أولًا: أن نعتقد أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والرسل هم أفضل البشر على الإطلاق، ولا يمكن أن يدانيهم في الخيرية والفضل غيرهم ألبتة.

الأمر الثاني: أنهم اصطفاهم الله سبحانه وتعالى به من النبوة والرسالة شيءٌ مختصٌ بهم، فلا يمكن أن ينال بأي وسيلة كانت، فبعض الضالين كان يظن ويتوهم أنه يمكن أن يصل إلى مرتبة النبوة من طريق الرياضة الروحية، والتأمل، والخلوة، وما شاكل ذلك، وهذا كله ضلال وانحراف، فالنبوة والرسالة

اصطفاء من الله جل وعلا واختصاص لا يمكن الوصول إلى ذلك إلا بأن ينبأ الله ﷻ عبدًا أو يرسله، وذلك قد انتهى وانقضى بختم الأنبياء والمرسلين وذلك ببعثة نبينا محمد ﷺ.

أيضًا: يجب أن نعتقد أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بشر من جملة البشر، وليسوا مخلوقات مختلفة، بل هم بشر ويجوز عليهم ما يجوز على البشر من الأمور الخلقية الجبلية، هم بشر وإن كانوا صفوة البشر، هم بشر وإن كانوا خير البشر، وأشرف صفاقم وأعظمها عبوديتهم لله تبارك وتعالى، ولذا أثنى الله ﷻ عليهم بالعبودية في أشرف المقامات، سبحان الذي أسرى بعبده ليلًا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، إلى غير ذلك من هذه النصوص.

ومن إيماننا أيضًا بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام: أن نؤمن بما علمنا من أسمائهم والذي علمناه في الكتاب والسنة من أسمائهم قليل والأكثر لم نعلمه؛ لأن الله جل وعلا إنما قص على نبيه ﷺ بعضًا منهم ورسلًا لم نقصصهم عليك.

فنؤمن بأسماء من علمنا أسماءه: كإبراهيم ونوح وموسى وعيسى وأشرفهم وخيرهم نبينا محمد ﷺ، وهؤلاء هم أولوا العزم من الرسل، ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ ولذا فنحن نؤمن أيضًا أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفاوتون في الفضل، فالرسل أفضل من الأنبياء، وأفضل الرسل هم أولوا العزم من الرسل وهم الخمسة الذين ذكرت لك، وأفضل أولوا العزم الخليلان محمد وإبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وأفضل الخليلين نبينا محمد ﷺ، إذن هو سيد ولد أدم وسيد الأنبياء والمرسلين وإمامهم ﷺ.

....

أيضًا: مما يجب علينا الإيمان به في هذا الباب أن نؤمن بما علمنا من صفاتهم وأعمالهم وجليل ما هم عليه من النعوت إذا ثبت ذلك في القرآن والسنة وقد جاء من هذا طائفة من أخبارهم في القرآن والسنة فيجب الإيمان بذلك كله.

الركن الخامس الإيمان باليوم الأخر:

والإيمان باليوم الأخر هو الإيمان بما يكون من الحياة بعد الموت، فإن من المعلوم بالافتراض من دين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعًا أن بعد هذه الحياة حياة أخرى، حياة يكون فيها حساب وجزاء على ما كان من الناس في هذه الدنيا.

والإيمان باليوم الأخر يقتضي الإيمان بثلاث أمور رئيسة ويدخل تحت كل واحد منها فروع ومسائل كثيرة:

أولًا: الإيمان بالحياة البرزخية.

ثانيًا: الإيمان بمواقف القيامة.

وثالثًا: الإيمان بالجنة والنار.

تفصيل ذلك، أن الحياة البرزخية هي: الحياة التي ينتقل فيها الإنسان بعد مغادرته هذه الدنيا وهذه الحياة التي نعيشها، فإنه ينتقل إلى حياة برزخية.

سميت برزخية من البرزخ، البرزخ هو الحائل بين الشيئين فهذه المرحلة ليست من الدنيا وليست أيضًا من القيامة بل هي قبل ذلك، ولكنها حياة غيبية بالنسبة لنا الله تعالى أعلم بها.

وتنبه يارعاك الله إلى قاعدة مهمة فهمها يحل كثيرًا من المشكلات التي قد ترد عليك نتيجة عدم فهم بعض النصوص، فإن **الروح لها تعلقات مختلفة بالبدن:**

....

التعلق الأول: تعلق الروح بالبدن حال كون الإنسان جنينًا في بطن أمه فإنه إذا مضى عليه أربعون ثم أربعون ثم أربعون كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ: إذا مضت هذه المدة وهي مائة وعشرون يومًا فإن الله ﷻ يرسل ملكًا ينفخ في هذا الجنين الروح، إذن هذا هو التعلق الأول.

ثانيًا: تعلق الروح بالبدن بعد خروجه من بطن أمه وهذا التعلق أكمل من الأول فهو تعلق التكليف الذي يتعلق به التكليف

التعلق الثالث: تعلق الروح بالبدن حال كون الإنسان نائمًا فإن روحه في هذا الحال متصلة بالبدن من وجه ومنفصلة من وجه أخر.

التعلق الرابع: تعلق الروح بالبدن حال كون الإنسان في قبره يعني في الحياة البرزخية فالروح تعاد للجسد إذا وضع الإنسان في قبره ويكون حيًا ولكنها حياة أخرى ليست هي هذه الحياة التي نعيشها بل هذه حياة غيبية الله أعلم بكيفيتها.

التعلق الخامس: تعلق الروح بالبدن إذا نفخ في الصور وقام الناس وبعثوا من قبورهم لرب العلمين لحسابهم وجزائهم، وهذا أكمل التعلقات؛ لأنه يتعلق به حياة دائمة سرمدية لا نهاية لها إما في نعيم وإما في عذاب.

أعود فأقول الحياة البرزخية تبدأ منذ قبض الروح، ونمهد لقبض الروح مرحلة الاحتضار وهي لحظات عصيبة حتى إن أشرف الخلق ﷺ لما وصل إلى هذه اللحظات أصابه شيء عظيم، حتى إنه كان يضع يده عليه الصلاة والسلام في الماء ثم يمسح وجهه ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات، السكرة هي الشدة، فله شدة، نسأل الله ﷻ أن يخفف عنا، ثم إذا قبضت الروح وقبض الروح الناس فيه يتفاوتون، هذه الشدة تسبق قبض الروح، أما لحظة قبض الروح فإنها بالنسبة

....

للمؤمن لحظة سهلة هينة، فإن الروح تقبض بسهولة وقد جاء تشبيهها في حديث النبي ﷺ في حديث البراء الطويل قال: «**فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِيِّ السقاء**»

وأما الكافر –عافانا الله وإياكم من حاله– فإن روحه تنزع نزعًا شديدا، وهذا أول عذاب يناله في الآخرة وما بعده أشد.

ثم يتعلق بالحياة البرزخية موقفان هما:

الأول: الفتنة، فتنة القبر.

والثاني: تعقيب الفتنة ألا وهو عذاب القبر أو نعيمه.

أما فتنة القبر: هو سؤال الملكين الميت عن ثلاث أسئلة، عن ربه ودينه ونبيه محمد ﷺ، أما الجواب فإن من عاش على هذه الحقيقة مؤمنًا بها ومعتقدًا إياها، مؤمن بالله بدين الإسلام ويتبع النبي ﷺ فإنه سيجيب بالسداد وأما غيره فإنه سيقول هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، ثم بعد ذلك يكون النعيم أو العذاب

والقـــبر فاذكره وما وراءه فمنـــه ما لأحـــد بـــراءة
وإنه للفيصـــل الذي به ينكشف الحـــال فلا يشتبـــه
والقبـــر روضة من الجنان أو حفرة من حفر النيـــران
إن بـــك خيـــراً فالذي من بعده أكرم عند ربنا لعبده
وإن يكن شراً فما بعد أشدُّ ويلٌ لعبدٍ عن سبيل الله صدَّ

....

والناس بعد هذه الفتنة إما في نعيم وإما في عذاب **وهذا العذاب يتعلق بالطائفتين:**

الأولى: الكفار -عافني الله وإياكم من حالهم- قال جل وعلا: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ وأما العصاة فإن النصوص قد دلت على أن للمعاصي أثرًا في اقتضاء العذاب في القبر، بل جاء التنصيص على طائفة من هذه المعاصي، ومن ذلك عدم الاستبراء من البول، وهذه المسألة مهمة ينبغي التنبه لها، بل صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن عامة عذاب القبر من البول**»

والناس في هذه المسألة طرفان ووسط:

- من الناس من يتساهل فلا يبالي بقضية الاستبراء والتنزه من البول والغائط فيقوم قبل أن ينتهي ولا يبالي ما وقع على جسده أو على ثوبه، وهذا متوعدًا بهذا العذاب عافاني الله وإياكم في القبر.
- ومن الناس من يتشدد في هذه المسألة حتى يقع في شيء من الغلو والتنطع بل الوسوسة، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم
- والوسط أن على الإنسان أن يتنزه وأن يستبريء وأن يتنظف، ولكن لا يبالغ حتى يصل إلى هذا الغلو والتنطع.

أيضًا من أسباب عذاب القبر التي تقضيه: "النميمة" وهو ذاك الرجل وتلك المرأة، صاحب وصاحبة النفس الخبيثة التي لا تستريح إلا إذا أوقعت بين الناس العداوة، تنقل الكلام من هنا إلى هنا، فهذا أيضًا متوعدٌ بعذاب القبر.

أيضًا قال النبي ﷺ كما في صحيح البخاري من حديث سمرة ﷺفي رؤيا النبي ﷺ الطويلة في رؤيا الأنبياء وحي من ذلك رأى النبي ﷺ من يعذب بأن يشدخ رأسه، قال: «**فرجل أتاه الله**

....

القرآن فلم يعمل فلم يقم فيه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، وفي رواية وينام عن الصلاة المكتوبة» فاحذر يا صاحب القرآن، وتنبه يا أيها المصلي.

ومن ذلك أيضًا ما رأى النبي ﷺ ممن يشق شدقه، الشدق جانب الفم، رآه يعذب بهذا العذاب، وذكر سبب ذلك وهو أنه كذاب، يكذب الكذب حتى تبلغ الآفاق، وهوما نسميه باللسان المعاصر الإشاعات، فتنبهوا يا أصحاب الأجهزة ويا أصحاب الواتس آب من نشر إشاعات لم تتحقق من صحتها.

أيضًا رأى الذين يعذبون في مثل التنور وهم الزناة عفانا الله وإياكم من ذلك، أيضًا إسدال الثوب مع النخيلة، ففي حديث أبي هريرة في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يلبس جبة أسبل ثوبه تعجبه نفسه إذ خسف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**»، وبه تعلم أن من العصاة من يستمر عذابه، نسأل الله العافية والسلامة إلى يوم القيامة.

ومن أعظم الأسباب التي تقي برحمة الله وتوفيقه من عذاب القبر: تحقيق التوحيد والإيمان وجميع الأعمال الصالحة لها أثر في وقاية من عذاب القبر، لكن بعضها لها خصوصية ومن ذلك قراءة سورة تبارك كل ليلة فإنها المانعة، تمنع برحمة الله ﷻ من عذاب القبر، كذلك الذي يموت شهيدًا في سبيل الله ﷻ فإنه يوقى من عذاب القبر، ومباحث البرزخ وما يتعلق بها كثيرة، لكن علينا أن نؤمن أن العذاب والنعيم في القبر واقع على الروح ويتصل بالبدن أيضًا، هذه المرحلة البرزخية تنتهي في موقف معين ألا وهو نفخ الروح، ألا وهو النفخ في الصور فإذا نفخ في الصور انتهت الحياة البرزخية وقامت القيامة، والنفخ في الصور موقف عظيم يكلف الله ﷻ به الملك الموكل لنفخ الصور وهو اسرافيل عليه السلام، والصور قرن ينفخ فيه، آلة تشبه هذه من حيث الأصل، تشبه هذه الآلة التي يزمر بها، ولكن لا شك أن الصور الذي جاء في النصوص شيء أعظم من ذلك بكثير، الشاهد أنه إذا نفخ في الصور قام الناس من قبورهم لرب العلمين.

....

وصفاهم في ذلك أخبر بها النبي ﷺ، يبعث الناس حفاة عراة غرلا، حفاة بلا نعاش، عراة بلا ثياب، غرلًا جمع أغرل يعني الذي لم يختن تعود تلك الجلدة التي قطعت من الإنسان لما أختتن، كما أخبر جل وعلا، وتحقق قوله : ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ يقوم الناس على هذه الهيئة ثم إن الله ﷻ يكسوهم، وأول من يكسى إبراهيم عليه السلام، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ، ثم نبينا محمد ﷺ كما ثبت عن علي رضي الله عنه.

وأحوال الناس في بعثهم متفاوتة، ويبعث الإنسان على ما مات عليه، حتى إن الشهيد يبعث ودمه يثرف، اللون لون الدم والريح ريح المسك، كذلك الذي يموت في إحرامه فإنه يبعث يوم القيامة ملبيا، ثم إن الناس إذا بعثوا وقاموا من قبورهم، حشروا إلى أرض المحشر، جمعوا في تلك الأرض العظيمة التي أخبر الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ﴾ صفة هذه الأرض بينها النبي ﷺ في قوله: «**يحشر الناس على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد**» بيضاء عفراء: يعني بياضها ليس بياض ناصع بل فيه شيء من اللون القاتم أيضًا فهو بياض ليس بناصع، كقرصة نقي: القرصة يعني الخبزة، والنقي: يعني الدقيق النقي والمقصود أنها أرض مستوية ليس فيها نتوءات وليس فيها حفر، قالوا وليس فيها معلم لأحد ليس هناك أي علامات يستدل بها، كما هو واقع الناس في هذه الدنيا، يستدلون بالأودية وبالجبال وبعلامات مصنوعة، لكن يوم القيامة هذه الأرض ليس فيها معلم لأحد، يجتمع الناس في هذه الأرض وتحصل الكروب العظيمة التي جاءت في الكتاب والسنة، حتى إن الشمس لتدنوا من العباد دنوًا عظيمًا حتى تكون منهم على قدر ميل والله أعلم، هل هو ميل المسافة كيلو ونصف تقريبًا أم هو ميل المكحلة الذي يكتحل به، والمقصود أن دنوا الشمس من الناس دنوًا عظيم حتى إنهم يعرقون ويتفاوتون بحسب أعمالهم في العرق: منهم من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ عرقه ركبتيه، ومنهم من يبلغ حقويه ومنهم من يبلغ ثدييه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا، ولكل درجات مما عملوا، ويشتد الكرب بالناس جدًا إلا من أراد الله ﷻ بهم الخير، ومن أولئك السبعة الأصناف الذين يظلهم الله ﷻ في ظله يوم لا ظل إلا ظله فهنيئًا لهم، ثم إذا طال الكرب بهم فإن الناس تستغيث بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام، نلاحظ

....

أن هذه الاستغاثة استغاثة بحي حاضر قادر، فيبدؤون بآدم عليه السلام لأنه أبو البشر وأول الأنبياء، ثم بنوح ثم بنوح ثم بإبراهيم ثم بموسى ثم بعيسى، وكلٌ يعتذر وكلٌ يقول نفسي نفسي وكلٌ يذكر ذنبًا، إلا عيسى عليه السلام فلا يذكر ذنبًا، وكلهم يقول أن الله قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، حتى تصل النوبة إلى نبينا الكريم محمد ﷺ فيقول أنا لها، فيذهب فيسجد تحت العرش ويفتح الله ﷻ عليه بمحامد لم يكن يحسنها في حياته ﷺ، حتى يقول الله تبارك وتعالى: **«يا محمد أرفع رأسك وسل ستعطى واشفع تشفع»** فيقول النبي ﷺ: **«أمتي أمتي»** الحديث.

الشاهد أنه إذا حصلت الشفاعة العظمى، وهي المقام المحمود الذي يَحمدَه ﷺ عليه جميع الخلائق، فإن الله تبارك وتعالى يجيء لفصل القضاء ويكون الحساب، الحساب موقف من مواقف القيامة، والمقصود به توقيف الله ﷻ العباد على أعمالهم، وتقريرهم بها وتذكيرهم بما نسوه منها. والله جل وعلا سيخلو مع كل واحد منا، وسيقرره بذنوبه، وسيقول له عملت كذا يوم كذا وكذا، والعبد يقول: أعرف ربي أعرف ربي، فإن أراد الله ﷻ بعبده خيرًا يقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، وهذا موقف عظيم فيه الحياء من الله من هذا الموقف الذي يذكر فيه الإنسان بسيئاته وغدراته وفجراته.

أسأل الله أن يعفوا عنا ويسامح، ويقف الله سبحانه وتعالى في ذلك الموقف العظيم بين العباد يقضي بينهم في المظالم.

وأول ما يقضى فيه بين العباد في الدماء، وعلينا أن نعلم أن أول الأعمال التي نسأل عنها الصلاة، وأول ما يقضى فيه بين العباد الدماء، ثم يتلو ذلك ما يتعلق بالمظالم التي تكون بين العباد بعد الدماء، ونتيجة هذه المحاكمة بين العباد ليس فيها أموال تدفع من طرف إلى أخر يرضى بها، إنما يكون الاقتصاص بالحسنات والسيئات، فيأخذ المظلوم من حسنات الظالم وإذا فنيت فإنه يؤخذ من سيئات المظلوم فتوضع على سيئات الظالم، نسأل الله السلامة والعافية، فحذاري من مظالم العباد.

....

احرص ما استطعت على أن تلقى الله تبارك وتعالى وليس لإنسان عليك مظلمة، لا قريب ولا بعيد، احرص ما استطعت على ذلك فإن هذا أقرب إلى النجاة.

ثم بعد ذلك موقف الحساب يكون موقف الوزن، وموقف الوزن حد فاصل بين أهل السعادة والشقاوة، الوزن في ضوءه يتحدد مصير الإنسان فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية، والناس في هذا الموقف العظيم ينقسمون إلى ثلاثة أقسام، كل أعمالك سوف توزن، ما قدمته في حياتك من حسنات وسيئات، وما استمر أيضًا بعد موتك من حسناتك وسيئاتك، وانتبه فإن الحسنات والسيئات قد تستمر بعد الموت، إذا كنت عملت عمل صالح واستمر، كالذي يوقف وقفًا كالذي يتصدق بصدقة وتبقى كالذي يربي أبناءه على الخير، الذي يربيهم على الصلاة فإن كل هذه حسنات تستمر بعد موت الإنسان، والعكس صحيح ما عمله الإنسان من سيئات ولها ذيول تستمر بعد الموت، سيكون الإنسان في قبره ليس مستفيدًا شيئا لا يلتذ بهذه السيئة التي قدمها في الدنيا، ولكن سيئاته مستمرة كتاب السيئات، يسجل فيه وهو في قبره ما شاء الله ﷻ من الزمان، كذاك الذي يغادر الحياة وقد ترك شيئا مما يعصى الله ﷻ به في بيته من آلات اللهو مثلًا أومن الأمور التي يوقفها في حياته أو يتسبب في حصولها وهي مما يعصى الله ﷻ به، تخيل أي معصية تقع بسبب بك فإنه يسجل عليك مثل سيئة من عملها بالفعل، إذن لا سعادة من تنتهي سيئاته بانتهاء حياته، والله أنه لسعيد الذي تنتهي سيئاته بموته، ولا تستمر بعد ذلك. إذن عندنا الأعمال التي عملتها سواء انتهت بموتك أو استمرت بعد موتك وعندنا أيضًا نتيجة المقاصة بين العباد في المظالم من الحسنات والسيئات هذه تدخل في الوزن أيضًا، وعندنا أمر ثالث وهو ما يهدى إلى الميت من حسنات، وتكلمنا في درس سابق أن الذي دلت عليه النصوص وهو الراجح والله تعالى أعلم أنه يجوز ويشرع إهداء الصدقة والنسك الحج والعمرة، وقضاء الصوم الواجب فإن هذه يصل ثوابه إلى الميت، فهذا أيضًا مما يدخل في الموازنة.

....

المقصود أن نتيجة الوزن تنقسم إلى ثلاث أحوال:

الحال الأولى: أن تثقل كفة الحسنات فمن ثقلت حسناته وزادت على سيئاته ولو بواحدة فإنه إلى الجنة مباشرة، نسأل الله من فضله، تصديقًا لقوله جل وعـــلا: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ من زادت حسناته على سيئاته ولو بواحدة دخل الجنة، إذن أكثر يا رعاك الله من الحسنات ما تدري، رُبَّ حسنة تفعلها تكون هي المرجحة لكفـــة الحســـنات علـــى السيئات.

الحال الثانية: ترجح كفة السيئات على الحسنات، فلو ترجحت سيئاته على حسناته ولو بواحدة فإنه من أهل الورطة الكبيرة، وأما من خفت موازينه، يعني خفت موازين حسناته، وبالتالي ثقلت موازين سيئاته فأمه هاوية، وما أدراك ما هي نار حامية، فاستقل ما استطعت من السيئات فربما تفعل سيئة تكون هي المرجحة وترديك هذا المورد العظيم، نسأل السلامة والعافية.

الحال الثالثة: أن تتساوى الكفتين، رجل عنده حسنات تقابلها سيئات بمقدارها سواء بسواء، الثواب في هؤلاء وهو الذي عليه فتح الصحابة ﷺ أنهم يكونون من أهل الأعراف، **الأعراف:** مرتفع بين الجنة والنار فيقفون على الأعراف ما شاء الله أن يوقفوا ثم بعد ذلك يكون مصيرهم على الجنة؛ لأن رحمة الله سبقت خبره، كما قال جل وعلا في سورة الأعراف: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾

من مواقف القيامة أيضًا التي علينا أن نؤمن بها: الحوض، وهو وجه من أوجه إكرام النبي ﷺ، الله جل وعلا يكرم نبيه الكريم ﷺ بأن يعطيه الحوض، **والحوض هو:** مجمع الماء العظيم الذي يضعه الله تبارك وتعالى يوم القيامة، ويشرب منه المتبعون للنبي ﷺ، واعلم يارعاك الله أن للنبي ﷺ حوضان

....

عظيمان، حوض في الدنيا وحوض في القيامة، من شرب من حوض الدنيا شرب من حوض القيامة، ومن لم يشرب من الحوض الدنيوي لم يشرب من الحوض الأخروي، الحوض الدنيوي هو سنة النبي بالتالي فالناس متفاوتون منهم من يقل ومنهم من يكثر، المقصود أن هذا الحوض عظيم، وصفه النبي ﷺ كما في الصحيح أن طوله شهر وعرضه شهر وزواياه سواء، صفات هذا الحوض: **«أن ماءه أبيض من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، وكيزانه وأباريقه كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا»** وجاء عند مسند أحمد: **«ولم يسود وجهه أبدا»**، ويذاد عن هذا الحوض الذين ارتدوا عن الدين من هذه الأمة، نسأل الله السلامة والعافية، وأيضًا الذين أحدثوا والذين ابتدعوا والذين غيروا في شريعة النبي ﷺ، فحذاري حذاري من البدع.

أيضًا من مواقف القيامة موقف إيتاء الصحف والله جل وعلا أخبر في كتابه في نصوص كثيرة، في آيات كثيرة هذا الموقف العظيم ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ مفتوحًا لا تكلف نفسك فتحة ستجده أمامك مفتوحا، ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ والناس في تلقيهم لهذه الكتب مختلفون فأما من أوتي كتابه بيمينه فهو في عيشة راضية، هذا يقول: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أما الذي أدبر وكفر بالله ﷻ، فإنه يتلقى كتابه بشماله وأيضًا من وراء ظهره نسأل الله السلامة والعافية.

أيضًا من مواقف القيامة وهو موقف عظيم وبه اختم الكلام عن هذا الموقف أعني المرحلة المتعلقة بمواقف القيامة، الصراط، **الصراط**: هو جسر منصوب على جهنم، عافانا الله وإياكم من ذلك، جاء في صحيح مسلم أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بلغني أن الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف، وهذا الصراط أخبر النبي ﷺ أن عليه خطاطيف وكلاليب وحسك تأخذ من أمرت به فتلقيه في النار أو تجرحه نسأل الله السلامة والعافية.

....

والناس في مرورهم على الصراط أحوالهم متفاوتة يتفاوت أحوالهم من جهتين:

- من جهة النور والظلمة.
- ومن جهة السرعة والبطء.

أما النور والظلمة: فإنهم قبل الصراط يكونون في ظلمة دامسة، ظلمة عظيمة ثم يعطون أنوارهم بحسب أعمالهم، أخبر النبي ﷺ: أن منهم من يعطى نوره كالجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يكون نوره عند إبهام قدمه يضيء تارة ويطفئ تارة، سبحان الله العظيم شتان بين الأول والأخير، إذا أضيء تقدم وإذا أطفئ وقف وهذا دليل على ضعف الإيمان الذي أوصله إلى هذه المرحلة.

الأمر الثاني تفاوتهم بحسب السرعة والبطء: فمنهم من يمضي على الصراط كلمح البصر هو أسرع ما يمكن أن يعيشه الناس في أحوالهم، ومنهم من يمضي على الصراط كالبرق، ومنهم من يمضي على الصراط كالريح، ومنهم من يمضي كأجاويد الخيل ومنهم من يمضي كأجاويد الركاب يعني الإبل، ومنهم من يعدو عدوًا، ومنهم من يمشي، ومنهم يحبوا، وآخرهم يسحب سحبًا، نسأل الله العافية والسلامة.

الذين يمرون على هذا الصراط صنفان:

- المظهرون للإسلام والمبطنون للإسلام.
- والمظهرون للإسلام المبطنون للكفر.

يعني المؤمنون والمنافقون، كيف؟ ماذا عن الكفار المظهرين للكفر؟ هؤلاء يأخذ بهم قبل ذلك إلى النار فيلقون فيها، نسأل الله السلامة والعافية، ولا يبقى في هذا الموقف قبل الصراط إلا اللذين أظهروا الإسلام.

....

أحوال الناس أو نتيجة المرور على الصراط تنقسم إلى ثلاث أحوال:

الحال الأولى: ناجٍ مُسلَّم ناجم من الوقوع في النار، يسلم من هذه الخطاطيف وهذه الكلاليب، وهؤلاء هم أهل السعادة.

الصنف الثاني: دونهم وهو ناجٍ مخدوش: يعني مقلم يعني مجروح، وجاء في رواية مخدوج به، مخدوج يعني أنقص منه كأن هذه الكلاليب، نسأل الله العافية والسلامة، أخذت شيئًا من لحمه ولكنه ينجوا، ينجوا وقد جرح.

الصنف الثالث: هو المكردس في النار: عفانا الله وإياكم، أخذته هذه الكلاليب ورمته في النار، وهؤلاء صنفان المنافقون والعصاة الذين ما شاء الله ﷻ رحمتهم والعفو عنهم نسأل الله أن لا يجعلنا منهم.

ثم بعد هذا الموقف الناجين يقفون على جسر آخر هو القنطرة، كما ثبت في حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ فيما خرج الإمام البخاري إن الناس إذا خرجوا أوقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم، يعني في الدنيا اقتصاص أخص من الاقتصاص الأول الذي يكون في موقف الحساب، وكأنهم والله تعالى أعلم لكل واحد على الثاني مظلمة، يعني هذا ظلم هذا وهذا ظلم هذا، قال حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة، كأنه والله تعالى أعلم يراد من هذا الاقتصاص تصفية القلوب، وإصلاح الصدور، حتى إذا دخلوا الجنة لا يكون هناك شيء من الغل، ونزعنا ما في صدورهم من غل، ثم بعد ذلك إذا وصلوا إلى الجنة وجدوا أبوابها مغلقة، فالجنة ممنوعة على أهلها حتى يشفع النبي محمد ﷺ، فإذا شفع النبي ﷺ فإنه يأذن الله تبارك وتعالى بدخول الجنة، وأول من يدخلها هو النبي محمد ﷺ، وأول من يدخلها من أمته أبوبكر ﷺ وأول الأمم دخوله للجنة هم أمة محمد ﷺ.

....

هذا الأمر الثاني الذي يتعلق به الإيمان باليوم الأخر

أما الأمر الثالث فهو الإيمان بالجنة والنار: وهذا يقال في هذا الأمر العظيم هما دارا الخلد لكن تنبه يا رعاك الله إلى أمرين مهمين:

- أهل السنة والجماعة هم يعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، وليس أهُم يخلقان يوم القيامة.
- والأمر الثاني أن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان أبدًا ولا يفنى أهلهما، كل زمن تقدره في ذهنك لبقاء الجنة والنار فالواقع أنه ستبقى الجنة والنار وأهلهما وما زاد على إلى ما لا نهاية، فأهل الجنة خالدون فيها أبدًا، وأهل النار خالدون فيها أبدًا، والله تبارك وتعالى إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار يناديهم فيشرئبون فيؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (المرتبة الثانية: الإيمان، وهو بضع وسبعين شعبة، فأعلاها قول لا إلـه إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان وأركانه ستة؛ أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، والدليل على هذه الأركان الستة قولـه تعـالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ ودليل القدر قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾

الإيمان بالقدر شأنه عظيم فإن القدر أمر عظيم، بل هو بحر لا ساحل له، فالشرع فيه سفينة النجاة، من ركبها نجا ومن تخلف عنها فهو من المغرقين.

الإيمان بالقدر أهم مسائله:

أولًا: أن تعتقد أن كل ما يقع في هذا الكون فإنه راجع إلى علم الله وكتابته ومشيئته وخلقه، هذه الأمور الأربعة تسمى عند أهل العلم مراتب القدر، وقد أجمع عليها الرسل وأتباعهم وأطبق عليها السلف الصالح قاطبة، **والمراد أن يعتقد الإنسان.**

أولًا: أن كل شيء يقع في هذا الكون فإن الله تبارك وتعالى قد علمه بعلمه القديم الأزلي، فالمسلمون يعتقدون أن الله جل وعلا بكل شيء عليم وعلمه وسع كل شيء ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ علم جل وعلا ما كان وما هو يكون وما سوف يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون من الممكنات والممتنعات، إذًا لا يمكن أن يقع شيء ألبتة إلا وقد علمه الله ﷻ قبل أن يقع.

المرتبة الثانية: أن نؤمن بأن الله كتب في اللوح المحفوظ كل ما سيقع في هذا الكون، الله جل وعلا كتب مقادير كل شيء كما قال النبي ﷺ في ما خرجه الإمام المسلم «**إن اللَّهُ كتب مَقَادِيرَ كل شيء قَبْلَ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» فكل شيء يقع في هذا الكون فهو مكتوب في اللوح المحفوظ وهو محفوظ من الزيادة والنقصان لا يطرأ عليه تبديل ولا تغيير.

....

المرتبة الثالثة: أن نعتقد أن كل شيء يقع في هذا الكون فإن الله جل وعلا هو الذي شاءه، المشيئة هي الموجبة للأشياء على الحقيقة فأينما تقع الأشياء عقب مشيئة الله ﷻ فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

مَا شِئْتَ كَانَ، وإنْ لم أشَأْ   وَمَا شِئْتُ إن لَمْ تَشأْ لَمْ يكنْ.

فالشيء الذي شاءه الله ﷻ فإنه واقع ولابد ولا يدافع الله جل وعلا في كونه وملكوته فإذا شاء جل وعلا حصول أمر فإنه يقع قطعاً قال جل وعـــلا: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ واعلم يا رعاك الله أن الله ﷻ يحب ما لا يشاء ويشاء ما لا يحب، ما يقع في هذا الكون مما لا يحبه الله جل وعلا من المعاصي والكفر والظلم ووجود إبليس وما إلا ذلك فهو واقع بمشيئة الله ﷻ فإنه جل وعلا لا يعصى إلا بما بمشيئته ولا يمكن أن يقع شيء ألبتة إلا بمشيئة الله ﷻ.

وينبغي أن تعلم أن لله تبارك وتعالى حكمة بالغة في مشيئة ما يكره، فالله جل وعلا يشاء ما يكره، لأنه يفضي إلى ما يحب أنتبه الله جل وعلا يشاء ما يكره لأنه يقضي إلى ما يحب.

إذن صارت هذه الأمور المكروه لله جل وعلا مرادة لغيرها لا لذاتها الله لا يحبها بل يبغضها لكنه شاءها؛ لأنه يترتب على وجودها ما يحب، لما شاء جل وعلا حصول المعصية وهي مبغضة له من العبد فإنه يترتب على وجودها ما يحب فتحصل التوبة مثلاً والتوبة محبوبة إلى الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ إذن تنبه إلى هذه المسألة المهمة فبعض الناس يقول كيف يشاء الله ﷻ ما لا يحب فيقال يشاء ما لا يحب، لأنه يفضي إلى ما يحب، وباب الحكمة باب عظيم ربما يظهر لنا شيء يسير من الحكمة، لكن كثير من ذلك مخزون عنا علمه، وأنَّا للعبد الضعيف الفقير الناقص أن يحيط علماً بحكمة العظيم الكبير الواسع ﷻ، حسبنا أن نعلم قطعاً وأن نستيقن قطعاً أن الله تبارك وتعالى له حكمة بالغة في كل ما يخلق وفي كل ما يقدر وفي كل ما يشاء وفي كل ما يشرع، فإن ظهرت لنا الحكمة من ذلك فالحمد لله، وألا فنقطع أن لما يشاء الله جل وعلا حكمة وإن كنا لا نعلم تفاصيلها.

....

كما أنه جل وعلا قد يحب ما لا يقع، يعني يحب ما لا يشاء، وهذا أيضاً راجع لحكمة الله تبارك وتعالى، الله جل وعلا يحب الإيمان يحبه من جميع الناس ولكنه شاء تبارك وتعالى أن لا يؤمن كثير من الناس، وذلك أيضاً حكمة له جل وعلا إذًا تنبه إلى هذه القاعدة المهمة قد يشاء الله ما لا يحب، وقد يحب ما لا يشاء وكل ذلك متعلق بحكمته ﷻ فهو أحكم الحاكمين.

المرتبة الرابعة: أن تعتقد أن الله تبارك وتعالى خالق كل شيء ليس ثمة موجود إلا شيئان خالق ومخلوق، والله جل وعلا هو الخالق وحده، وكل ما سواه فهو مخلوق، الله خالق كل شيء، وخلق كل شيء، إذن كل شيء فهو مخلوق أعياناً أو صفات أو أفعالاً، حتى فعلك أنت الذي تفعله من قيام وقعود وذهاباً ومجيء وصلاة وصيام كل ذلك مخلوق لله تبارك وتعالى فالله سبحانه خلق كل شيء.

أولـــيس قد قام الدليـــل بأن أفعـــــال العباد خليقـــة الرحمـــن
من ألف وجه أو قريب الألف يحـــصيـــها الذي يعنى بهذا الشـــان

فكل شيء خلقه الله تبارك وتعالى، الله ﷻ خلق أفعال العباد وإن كانت كسباً لهم، تنبه إلى هذه المسألة المهمة أفعال العباد فعلاً وكسباً لهم وهي خلق من الله تبارك وتعالى، فالله ﷻ هو المقيم والعبد هو القائم، الله ﷻ هو الذي جعل العبد مصلياً والعبد هو الذي صلى وتأمل في قول الله جل وعلا: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ فهم يهدون الفعل قائم بهم، والله هو الذي جعلهم كذلك، إذن أفعال العباد ينظر لها من جهتين؛ من جهة كسبها وفعلها هي فعل للعبد ولذا هو محاسب عليها ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وهي من جهة أخرى خلق لله تبارك وتعالى، خلقها الله كما خلق كل شيء ﷻ، ولك أن تفهم هذه المسألة بشيء يقربه إلى ذهنك، ألا وهو أن تعلم أن الله ﷻ لحكمته يخلق الأشياء تارة بلا واسطة، ويخلق تارة بواسطة فخلق آدم عليه السلام بلا واسطة، وخلق حواء عليها السلام بواسطة وهي آدم، خلقنا نحن بواسطة الوالدين وهلم جراء، ومن ذلك أفعال العباد خلقها الله تبارك وتعالى بواسطتنا نحن.

الأمر الثاني: الذي ينبغي أن نتنبه له بعد هذه القاعدة الأصلية المهمة وهي أن كل ما في الكون راجع لله وكتابته ومشيئته وخلقه يعني إلى مراتب القدر وهذه القاعدة أهم قواعد القدر، وأنت إذا

....

فهمت هذا الأمر أتضح لك باب القدر جلياً بتوفيق الله ﷻ، أحفظ هذه المراتب الأربعة علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو إيجاد وتكوين.

القاعدة الثانية: مهمة في باب القدر هي أن الهداية والإضلال هي بيد الله ﷻ، فهو يهدي من يشاء نعمة منه وفضلًا ويضل من يشاء حكمة منه وعدلا، الهداية والإضلال إنما هي من الله تبارك وتعالى، فالعباد ما اهتدوا إلا لأن الله هداهم، والله لولا الله ما اهتدينا وما تصدقنا وما صلينا ولو شاء الله ألا نهتدي فلن نهتدي، كذلك الإضلال الله جل وعلا يضل من يشاء فهو الذي يضل ﷻ، كما أنه هو الذي يهدي ولكن هدايته سبحانه راجعة إلى تفضل منه جل وعلا تأمل في قول الله ﷻ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ هذه هي الهداية الله الذي فعل هذا هو الذي حبب الإيمان وهو الذي كره الكفر والفسوق ثم قال: ﴿فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ لن تهتدي لنسبك ولن تهتدي لاجتهادك لن تهتدي لذكائك إنما هو فضلا محض من الله جل وعلا، فضلاً من الله ونعمة، وهذا الفضل راجع إلى علم الله وحكمته والله عليم حكيم،تأمل ختم الآية بهذين الاسمين العظيمين والله عليم حكيم، إذاً الله عليم بالمحل المناسب لفضله جل وعلا فاقتضت حكمته أن يضع الفضل في محله.

أما الإضلال فإنه راجع إلى عدلٍ وحكمة منه ﷻ فالله قد أنزل الكتب وأرسل الرسل، ومكَّن من الهداية فأعطى الأسماع والأبصار والأفئدة و لم يحل بين الإنسان وبين العلم بالحق، ثم إذا أبى العبد وانصرف عن الحق فإنه يستحق أن يعاقب بأن يصرف الله تعالى قلبه، تأمل في قول الله جل وعلا: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ الهداية هنا هي هداية الدلالة والإرشاد الله ﷻ بصرهم بالحق وبين لهم الهدى، ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ﴾ لكن ما الذي حصل منهم استجابوا؟ أقبلوا على الحق؟ كلا انصرفوا ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ إذن استحقوا أن يضلهم الله تبارك وتعالى عقوبة على إعراضهم، ﴿بِمَا وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ إذن إذا أضل الله جل وعلا من أضل فإن هذا راجع إلى عدله ﷻ؛ لأن الإضلال عقوبة ووضع العقوبة في محلها عدل أو ظلم ؟ عدل، والعدل محمود أو مذموم ؟ محمود، إذاً هذا راجع إلى عدلٍ من الله تبارك وتعالى.

تنبه إلى هذه المسألة المهمة وهي أن الله ﷻ إذا أضل فإنما أضل لأن هذا الإضلال عقوبة واقعة على من هو مستحق لذلك كما قال سبحانه: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ﴾ هذا هو الإضلال ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ لما جاء الحق ووصلتهم الدعوة كان يجب عليهم أن يقبلوا وأن يذعنوا وأن ينصاعوا إلى الحق، لكنهم أبوا فاقتضت حكمة الله جل وعلا أن يضلهم وأن يصرف قلبهم ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم، إذاً الله جل وعلا إن أضل فأعلم يقيناً أن هذا ليس ظلماً منه بل الظلم قد حرمه سبحانه على نفسه، **«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا»** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ إذن الهداية نعمة من الله وفضل والإضلال حكمة من الله وعدل، هذا باختصار ما يتعلق بموضوع القدر والنصيحة لك يا رعاك الله أن توغل في هذا الموضوع برفق وأن لا تزد على حدود ما ورد، فإن البحث في باقي القدر والتعمق والإيغال فيه قد يوصل إلى معاطب.

القدر كما قال السلف "سر الله فلا نكشفه" وإذا جاء في بعض الأحاديث عن النبي ﷺ الأمر بالكف عن الخوض في موضوع القدر، **«وإذا ذكر القدر فأمسكوا»** يعني أمسكوا عن ما زاد عن حدود ما جاء في النصوص، أما ما جاء في النصوص فلابد من التفقه فيه، أما ما فوق ذلك فقف، وأحذر إياك من هذه الأسئلة التي قد توقع في القلب شبهات ومشكلات أقطع الذريعة إلى الشر، السؤال عن حكمة الله ﷻ في الهدية والإضلال في الإعطاء والمنع هذه الأسئلة من فوق مقدور العباد أن يصلوا إلى العلم بها هذا أمر عظيم فوق طاقة العباد أن يصلوا إليه

وأصـــل ضلال الخلق من كل فرقة ... هـــو الخوض في فعل الإله بعلةِ

فإنهم لم يفهمـــوا حكمتـــه لـــه ... فصاروا على نوع من الجاهليـــة.

إذن أحذر من سؤال (لما) في باب القدر، كما عليك أن تحذر من السؤال (بكيف) في مسائل الغيب، أحفظ هذه القاعدة سؤالان ممنوعان في بابين، (كيف) في باب الغيب و(لما) في باب القدر، كيف في باب الغيب أن تسأل كيف صفة الله ﷻ؟ كيف استوى على العرش؟ كيف يترل إلى سماء الدنيا كل ليلة؟ كيف يضحك؟ وكيف يغضب؟ وكيف وجهه وكيف يده تبارك وتعالى، (كيف)

....

في هذا الباب البحث فيه ممنوع كما أن السؤال بـــ (لما) أيضا ممنوع ليس لك أن تخوض فيه بل هذا مما أختص الله تبارك وتعالى بعلمه، فقف حيث جاءت النصوص، وأعلم يقيناً أن الله تبارك وتعالى عدل لا يظلم وأن له حكمة بالغة تبارك وتعالى.

قال رَحِمَهُ اللهُ: (المرتبة الثالثة: الإحسان ركن واحد، وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك).

ختم الشيخ الكلام عن المراتب الدين الثالث الإسلام والإيمان والإحسان بذكر هذا الأمر الثالث ألا وهو الإحسان.

الإحسان: ركن واحد بينه الشيخ رَحِمَهُ اللهُ بقوله المستفاد من حديث النبي ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، المراد بالإحسان هو كمال الإخلاص والمراقبة وإتقان الطاعة.

إذن حقيقة الإحسان: أن تتقن وتحسن المرتبتين السابقتين ألا وهما الإسلام وهو الدين الظاهر، والإيمان وهو الدين الباطن، فمتى ما وصل الإنسان إلى هذه المرحلة بحيث حقق لله ﷻ كمال العبودية ظاهراً وباطناً، فإنه قد وصل إلى مرتبة الإحسان وهذه المرتبة عليا لا يصل إليها إلا الأفراد، الكلام فيها سهل ولكن أن يحققها الإنسان بالعمل هذا أمر ليس باليسير بل يحتاج إلى جد واجتهاد ونشاط والموفق من وفقه الله تبارك وتعالى، فالإحسان أعم من حيث معناه وأخص من حيث أهله.

أنتبه لهذا، الإحسان أعم من حيث معناه، فإنه يشمل المتربتين السابقتين ويزيد بكمال الإخلاص والمراقبة لله تبارك وتعالى، وهو أخص من حيث أهله فإنه لا يصل إلى هذه المرتبة إلا قلة ممن حققوا مرتبة الإسلام ومرتبة الإيمان قبل ذلك.

إذن هذه المراتب الثلاث يمكن أن تتصورها بأنها دوائر بعضها أخص من بعض، فالدائرة الكبرى هي دائرة الإسلام، والدائرة الأخص دائرة الإيمان ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ إذن أول ما يدخل الإنسان في الدين يصل إلى مرحلة الإسلام، الاستسلام الظاهر بفعل أركان الإسلام وقد يكون الإنسان محقق للإيمان الباطن، وقد لا يكون ربما يكون منافق يظهر الإسلام ويبطن الكفر ثم يرتقي إلى تحقيق الإيمان الباطن وهي مرتبة الإيمان ﴿وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ ثم يرتقي بعد ذلك بالمجاهدة والجد في الطاعة إلى المرتبة الثالثة وهي مرتبة الإحسان إذاً الإحسان أهم من حيث معناه وما يدخل فيه من الأعمال وأخص من حيث أهله فلا يرتقي إلى هذه المرتبة إلا الصفوة الكمل من عباد الله المتقين.

....

الإحسان على رفعته وكماله هو أيضاً على مرتبتين دل عليهما الحديث وهو ما عرف به الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ ألا وهما المرتبة الأولى: أنك تعبد الله كأنك تراه هذه مرتبة التطلع،

والمرتبة الثانية فإن لم تكن تراه فإنه يراك وهي مرتبة الإطلاع، المرتبة الأولى لا شك أنها أشرف وأعلى والذين وصلوا إليها من المحسنين أرفع درجة، وهي مرتبة تعني أن الإنسان يعبد الله عَزَّ وَجَلَّ على كمال المحبة والشوق كأنه يرى الله تبارك وتعالى لما وقع في قلبه عظيم الإيمان بالله والمحبة له والتعلق به وقصده بكل حال، حتى إنه سار بقلبه وجوارحه لا يقصد إلا الله تبارك وتعالى أضحى كأنه يعبد الله عَزَّ وَجَلَّ وهو يراه، هو لا يمكن أن يراه في الدنيا في صحيح مسلم قال ﷺ«**تَعْلَّمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُو**» تعلموا فعل أمر علينا أن نتعلم هذا الأمر في الدنيا لا يمكن أن نرى الله تبارك وتعالى، لكن الذي يحصل لأهل هذه المرتبة هو أنهم يستحضرون بقلوبهم عظمة الله تبارك وتعالى وما وقر في نفوسهم من الإيمان بنعوته وصفات جلاله وجماله جل وعلا فأصبحوا كأنهم يرونه عَزَّ وَجَلَّ بعظمته وكبريائه عال على خلقه، مستوى على عرشه، يسمع ويبصر ويدبر ويتكلم تبارك وتعالى.

إذن من عبد الله جل وعلا على هذه الهيئة والصفة فلا شك أنه سيأتي بعبادة من نوع آخر لا يتصورها من كان لم يشم لهذه المرتبة رائحة، فهذا يعبد الله على مرتبة الشوق والتطلع، فإن لم يصل إلى هذه المرحلة فلا أقل من أن يعبد الله عَزَّ وَجَلَّ وهو يعتقد أن الله يراه في كل حركة، وفي كل سكنه وفي كل دقيق وجليل، وفي كل خطوة يخطوها فإنه يستحضر أن الله تبارك وتعالى مطلع عليه، وبالتالي تثمر له مرتبة المراقبة أن يحسن ويتقن ويخشى ويتقي الله تبارك وتعالى لو تأملت يا رعاك الله في حال الإنسان الذي يراقبه إنسان جليل في عينه كأستاذه أو شخص مرموق في قبيلته يطالعه أو يضع له مراقبة كاميرات مراقبة، ودائماً تحت عين هذا الذي يحترمه ويقدره، بالله كيف سيكون في تصرفاته؟ سيراعي أدق التفاصيل حتى ربما في حركات يده وفي كلمات لسانه.

سيبدأ يتعامل بدقة؛ لأنه يعلم أنه مراقب، فهو يستحي أن يظهر في صورة غير لائقة أمام هذا الذي يستحي منه، فلما لا يستحي الإنسان من الله العظيم جَلَّ جَلَالُهُ وهو يراك في كل حال، ولا يمكن أن تخفى عليه خافيه، بل هو سبحانه يطلع على خفايا قلبك، الأسرار، والخلجات التي تكون في فؤادك، فإن الله-تبارك وتعالى مطلع عليها.

....

إذن من عبد الله سبحانه على هذه الحال فلا شك أنه سيحسن طاعته لله تبارك وتعالى، ونسأل الله أن يعفو عنا، وأن يسامح في أن نتكلم في شيء ما عرفناه، ولا شممنا له رائحة والله المستعان

قال رَحِمَهُ اللهُ: (والدليل قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾، وقوله ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.

استدل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ على مرتبه الإحسان بقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴾

ووجه الدلالة: في قوله والذين هم محسنون، فمن وصلى إلى مرتبة الإحسان فإنه يكون محسناً، وينال هذا الفضل العظيم، وهو أن يكون الله جل وعلا معه، وتنبه إلى أن هذه المعية معية خاصة تقتضي من الله جل وعلا حفظًا، وتأييدًا، ونصرة، وهي قدر زائد عن المعية العامة التي تكون من الله تبارك وتعالى لكل الناس، فالله مع الناس كلهم بمعيته العامة التي تقتضي علمه، واطلاعه، وإحاطته، وسمعه، وبصره، فالله مع جميع الناس بهذا العلم، وبهذا الاطلاع، وبهذه الإحاطة، وهو مع خواص عباده بمعية زائدة عن السابقة. كما قال جل وعلا عن نبيه محمد ﷺ لا تحزن إن الله معنا وقال لنبييه ورسوليه موسى وهارون ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ فهذه المعية يا سعادة من نالها، من كان الله تبارك وتعالى هو الذي يؤيده، وهو الذي يرعاه، وهو الذي ينصره، فأي شيء يخاف، وأي شيء يخشى إذا كان ملك الملوك تبارك وتعالى معك، ويعدك بنصره، وتأييده، وحفظه فإن الإنسان بعد ذلك لا يخشى شيء ألبتة، إذاً المقصود أن هذه الآية دلت على مرتبة الإحسان وثمرتها نعم.

قال: وقوله ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ هذه الآية وجه الشاهد فيها قوله: ﴿ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾

فعلى أي المرتبتين من مرتبتي الإحسان دلت؟ نعم على المرتبة الثانية فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال: وقوله ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٍ وَمَا تَتۡلُوا۟ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٍ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ هذه الآية في دلالتها كسابقتها، دالة على المرتبة الثانية من مرتبتي الإحسان ألا وهي مرتبة الاطلاع، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والدليل من السنة حديث جبريل المشهور، عَنْ عمر بن الخطاب ﷺقَالَ: بينما نحن عند رَسُول اللَّهِ ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إِلَى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إِلَى ركبتيه ووضع كفيه عَلَى فخذيه وقَالَ: يا محمد أخبرني عَنْ الإسلام؟ فقَالَ:" أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدا رَسُول اللَّهِ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" قَالَ: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه! قَالَ: فأخبرني عَنْ الإيمان؟ قَالَ: "أن تؤمن باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر؛ وتؤمن بالقدر خيره وشره" قَالَ صدقت قَالَ: فأخبرني عَنْ الإحسان؟ قَالَ: "أن تعبد اللَّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" قَالَ: فأخبرني عَنْ الساعة؟ قَالَ: "ما المسئول عَنْها بأعلم مِنْ السائل" قَالَ: فأخبرني عَنْ أماراتها؟ قَالَ: "أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان!" قال: فمضى فلبثنا مليا فقَالَ: "يا عمر أتدري مِنْ السائل؟" قلت : اللَّه ورسوله أعلم. قَالَ: "هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم" رَوَاهُ مُسْلِمٌ).

هذا حديث عظيم يشتمل على الدين كله، هو حديث جبريل المشهور الذي رواه بن عمر رضي الله عنهما عن أبيه رضي الله عنه، وهذا الحديث فهمه من الأمور المهمة لكل مسلم أراد أن يفهم الإسلام؛ لأنه بين بصورة واضحة مراتب الدين الثلاث.

ذكر عمر رضي الله عنه أنهم بينما كانوا عند رسول الله ﷺ إذ طلع عليهم رجل، ليس عليه أمارات سفر، ولا يعرفه الحاضرون، شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، وهذه ليست هيأة من جاء مسافرًا، والسفر في ذاك الزمان تظهر أثاره بوضوح، وفي المقابل لا يعرفه أحد من الحاضرين، الكل يجهل من هذا الجائي، ونحن قد علمنا في درس أمس أن الله تعالى أعطى الملائكة مع عظيم خلقتهم، قدرة على أن يتصوروا في صورة البشر، فهذا جبريل جاء إلى النبي ﷺ وعنده أصحابه في صورة رجل، ولكنه مجهول بالنسبة لهم، تخطى الناس حتى جلس بين يدي النبي ﷺ بأدب ووقار حتى أنه أسند ركبتيه إلى ركبتي ﷺ ووضع يديه على فخذيه، أو وضع يده على فخذ نفسه، أو وضع يده على فخذ النبي ﷺ، قولان عند أهل العلم، والأقرب أنه وضع يديه على فخذي النبي ﷺ كالمؤنس له، ثم بدأ في سؤاله قال يا محمد أخبرني عن الإسلام، لا شك أن أصحاب النبي ﷺ ما كانوا ينادونه

....

بهذا الدعاء -ينادونه باسمه-، بل كانوا ينادونه يا رسول الله يا نبي الله، وهذا تأديب من الله ﷻ لأصحاب نبيه ﷺ إنما الأعراب والذين كانوا يأتون من الآفاق ربما نادوا النبي ﷺ بهذا النداء، وجبريل عليه السلام ناداه بهذا، سأله أولًا عن الإسلام، فقال النبي ﷺ في تعريف الإسلام أركانه الخمسة: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت.

وإذا بالرجل يقول صدقت! وهذا عجيب، عجبنا له يسأله ويصدقه، العادة أن الذي يسأل يشكر المسؤول، ويقول جزاك الله خيرًا، أما هذا يقول صدقت فكأن عنده علما بما سأل عنه، وقد وافق ما أجيب به علمه، ثم سأله ثانيًا عن الإيمان، ففسره النبي ﷺ بأركانه الستة وقد مضت ، ثم سأله عن الإحسان فأجابه النبي ﷺ بما مر معنا أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ثم سأله عن الساعة عن موعدها فقال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، يعني إذا كنت أنت لا تعلم متى الساعة، فأنا كذلك لا أعلم متى الساعة، ولهذا نعلم أن النبي ﷺ لم يكن يعلم الغيب، ويخطئ خطأً عظيمًا ولقد أعظم الفرية على الله من زعم أن النبي ﷺ يعلم الغيب، إنما يعلم النبي ﷺ ما أعلمه الله إياه فحسب، أما علم الغيب هكذا بإطلاق فإنه ليس لأحد إلا لله تبارك وتعالى.

قال فأخبرني عن أماراتها -**أمارات الساعة**-: يعني علاماتها يعني أشراطها ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ ومن رحمة الله وحكمته أنه لما أخفى عن العباد موعد الساعة يعني موعد القيامة، قدم لها بمقدمات تنبه إليها، وهي علاماتها فيتنبه الناس، ويستيقظوا من غفلتهم، وأن ثمة ساعة، وأن الساعة قريبة كما أن في تقديم الساعة بأماراتها فائدة أخرى ألا وهي زيادة الإيمان، والإيقان، فإنه كلما ظهرت علامة من علامات الساعة قد أخبر بها النبي ﷺ ازداد أهل الإيمان إيمانًا، وثباتًا، وقالوا صدق رسول الله ﷺ.

علامات الساعة كثيرة: منها علامات مضت وانقضت، ومنها علامات واقعة، ومنها علامات ستقع، مما مضى وانقضى بعثة النبي ﷺ فهي علامة من علامات الساعة، قال ﷺ كما في الصحيح «**بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى**» بل قال ﷺ «**بعثت أنا والساعة كهاتين إن كادت لتسبقني**» وهذا كناية عن أنها قريبة جدًا من مبعث النبي ﷺ، والنظر هاهنا إلى القرب هو قرب نسبي، فبالنسبة لما مضى من زمن هذه الدنيا، فإن الذي من مبعث النبي ﷺ إلى قيام الساعة

....

قليل، وثمة علامات وقعت ولا تزال، من ذلك ما أخبر عنه ﷺ من كثرة الهرج، وهو القتل، وهذا لا أظن أنه يحتاج إلى توضيح أكثر من المحسوس المشاهد في هذا العالم اليوم، كذلك أخبر النبي ﷺ من علاماتها انتشار الزنا، كما أخبر أن من علاماتها كثرة الزلازل، كما أنه أخبر من علامتها انتشار القلم، كما أنه أخبر من علاماتها فشو الجهل، وهذا من عجيب ما يكون أن يفشو القلم، أن يكثر التعلم. وهذا واقع اليوم كثير من الناس بل أكثرهم يتعلمون، يقرؤون، ويكتبون، ويدرسون، ولكن الجهل بدين الله ﷻ فاشٍ مع ذلك، ولاسيما الجهل بأصل الدين والله المستعان. وثمة علامات قادمة لم تقع ولكنها يقيناً ستقع، أعظم العلامات: هي العلامات العشر الكبرى، وقد درج أهل العلم على تقسيم علامات الساعة: إلى علامات كبرى، وإلى علامات صغرى.

العلامات الكبرى: هي العشر التي جاءت عنه ﷺفي حديث واحد وما عداها فعلامات صغرى، هذه العشر أخبر بها النبي ﷺكما في صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد الغفاري حينما خرج النبي على أصحابه وإذا بهم يتذاكرون فقال **«عن أي شيء تذاكرون؟»** قالوا : نذكر الساعةَ، قال: **«إنها لن تكون حتى ترَون قبلَها عشرَ آياتٍ»** فذكر ﷺ **«الدخانَ، والدجالَ،ويأجوج ومأجوج، ونزول عيسى** عليه السلام**، والدابةَ، وطلوعَ الشمسِ من مغربِها، وثلاثةَ خُسوفٍ: خَسفٌ بالمشرقِ، وخَسفٌ بالمغربِ، وخَسفٌ بجزيرةِ العربِ وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من قعر عدن –عدن هذه المدينة التي في اليمن–، تحشر الناسَ إلى مَحشرِهم»** هذه العلامات هي علامات الساعة الكبرى، وميزتها أنها علامات متقاربة كما قالﷺ-: **«الآيات–يعني هذه العلامات– كخرزات في سلك إن يقطع السلك فإنها تكون إحداها إثر الأخرى»** يعني إذا بدأت هذه العلامات فإن الأخرى في إثرها سراعًا، وأول العلامات الكبرى هو خروج الدجال، ثم نزول عيسى عليه السلام ليقتله، ثم خروج يأجوج ومأجوج، أما آخر العلامات فكما جاء في الحديث النار التي تخرج من قعر عدن تحشر من يبقى في هذه الأرض في تلك الأيام التي هي آخر أيام الدنيا ،تحشرهم إلى أرض المحشر.

المقصود أن جبريل عليه السلام سأل عن علاماتها، فقال النبيﷺ علامتين**:**

الأولى: قال: **«أن تلد الأمة ربتها»** وفي رواية ربها، واختلف أهل العلم في معنى هذا الجزء من الحديث إلى سبعة أقوال:

....

من أشهر تلك الأقوال أنه تكثر الفتوحات فيكثر السبي يعني اتخاذ الإماء فيستولد السيد، والرب هنا بمعنى السيد، يستولد هذه الأمة فتنجب، ثم يبيعها، ثم تنتقل بالشراء بعد مدة إلى ابنها الذي يصبح سيدها، وهو لا يدري، فهذا يتحقق معه قوله أن تلد الأمة ربتها أو ربها.

ومعنى آخر استظهره الحافظ بن حجر في فتح الباري ورأى أنه أوجه الأقوال، وهو أن الرب هاهنا بمعنى المربي، وقد مر بنا معاني الرب في غير ما مناسبة، من معاني الرب أن يربي من التربية، وهو ملاحظة الإنسان ومتابعته وقتا بعد وقت حتى يصل إلى غايته، والمقصود بذلك كما ذكر الحافظ رحمه الله أن تلك الأيام ينتشر فيها العقوق حتى إن الابن ليقوم على أمه بالضرب، والإهانة حتى كأنها أمة له، يصبح هو الذي يربيها يضربها، ويأمرها، وينهاها، ويهينها حتى كأنها أمة بين يديه، وهذا مع الأسف الشديد ربما كان واقعًا من بعض الناس، يتعامل مع والديه تعاملًا مشينًا قبيحًا، بل ربما تناول بالسب والديه، بل ربما تناول بالضرب والديه، بل ربنا تناول بالقتل والديه، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وها نحن نسمع من وقت لآخر في وسائل الإعلام شيئًا من هذه الأحوال المخزية والله المستعان.

أما العلامة الثانية: فقال أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان، المقصود بهذه العلامة أن الأعراب، أهل البادية، سكان الخيام يتركون ما هم عليه ويهبطون إلى المدن، فيستقرون فيها، ويتطاولون أيضًا بالبنيان، يبنون القصور والعمائر، ويتطاولون فيها ويتنافسون على إطالتها وتحسينها.

وهذا أمر واقع أيضًا مشاهد، وقد تحققت نبوءة النبي ﷺ في هذا الحديث كما نرى، إذًا هاتان علامتان أخبر بهما النبي ﷺ من علامات الساعة، ثم إن جبريل عليه السلام مضى فمكث أصحاب النبي ﷺ مليا، ثم قال لعمر، أتدري من الرجل؟ إنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم، أو أتاكم يعلمكم أمر دينكم، وبهذا نستفيد أن هذه المراتب الثلاث هي مراتب الدين فالدين كله في حقيقته راجع إلى هذه المراتب الثلاث، والله تعالى أعلم.